

جامعة مولود معمري - تيزي وزو -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية



مشروع التداولية عند
يورغن هابرماس

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر تخصص
فلسفة غربية حديثة معاصرة

إشراف الأستاذ:
باجي أحمد

إعداد الطالبة:
شعباني نسرين

السنة الجامعية 2023-2024

بسم الله الرحمن الرحيم.



كلمة شكر وعرفان

الحمد لله على إتمام هذا العمل المتواضع بفضل الله

عز وجل

نشكر كل من الأساتذة الجامعيين الذين لم

يبخلوا علينا بالنصائح والتوجيهات خاصة فرع

فلسفة والأستاذ المشرف الذي وجهني طول مشواري

لإنجاز هذا العمل المتواضع ولم يبخل علينا

بنصائحه وكل من ساهم في هذا العمل سواء من

بعيد أو قريب لكم أسمى عبارات التقدير



إهداء

إلى من كلل العرق جبينه ومن علمني أن النجاح لا يأتي إلا بالصبر وإصرار، إلى النور الذي أنار دربي والسراج الذي لا ينطفئ نوره أبداً. الذي بذل الغالي ونفيس واستمدت منه قوتي واعتزّازي والدي العزيز رحمك الله وجعل قبرك روضة من رياض الجنة.

إلى من جعل الجنة تحت أقدامها، وسهل الشدائد بدعائها إلى الإنسانية العظيمة التي تمنّت أن تقرأ عينها لرؤيتي في يوم كهذا إلى أمي الغالية أطال الله في عمرك ودمتي لنا سنداً. إلى ضلعي الثابت وأمانتي، إلى من شددت عرضي بهم فكانوا ربيعاً أرتوي به إلى خيرة أيامي وصفوتها إلى قرة عيني إخواني وأخواتي الغالين أطال الله في أعماركم.

لكلّ من كان عوناً وسنداً في هذا الطريق لأصدقائي الأوفياء ورفقائي طول السنين إلى أصحاب الشدائد والأزمات. إلى من أفاضني بمشاعره ونصائحه المختلفة إليكم أحبتي كرام أهديكم هذا النجاح وثمره نجاحي الذي لطالما تمنّيته. ها أنا اليوم أكملت وأتممت أول ثمرته بفضلته سبحانه وتعالى.

فالحمد لله على ما وهبني وجعلني مباركة ويعينني أينما كنت فمن قال لها نالها. فأنا لها فإن أبت رغماً عنها أتيت بها فالحمد لله شكراً وحباً وامتنان على البدء والختام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة

نسعى من خلال هذا البحث إلى تتبع ملامح الفهم الهبرماسي للتداولية الكونية (الشمولية) التي طبعت مشروعه الفكري الفلسفي وحتى السياسي ويشغل هذا التتبع وفق عمليات مقارنة وتأسيس الأطروحة التداولية التي رسخ معالمها كلٌّ من أوستين Austin وبول غرايس Paul Grice و Searie.

إن المقولات النقدية التي استعملها هابرماس في مشروعه السياسي ذو البعد الكوني هذا كله من خلال الإشارة والإحالة إلى ما سبقه في ميدان فلسفة التواصل عموماً والتداولية على وجه أخص هذا الميدان الذي يهتم في أساسه بدراسة واستعمال اللّغة لدى منتجيها واستراتيجيات تأويلها من طرف المتلقي عبر عمليات الاستدلالية ومنطقية تخضع لخلفيات اجتماعية ومعرفية وثقافة المتعلمين.

لا يأتي حديثاً عن أطروحات التّداوليّة عند أوستين لمجرد سرد والتعريف بها بل من أجل الكشف عن كميّات و آليات تسربها إلى الطرح التّداوليّ الهبرماسي بالخصوص في مشروعه السياسي الكوني الذي حاول من خلاله تصحيح الحداثة العربية التي باءت بالفشل باعتدافه هو نفسه من خلاله ليس أساسياً وهو انعدام التواصل بين الذوات الإنسانية على الرغم من الآليات المعلوماتية التي وضعت وهيئت لهذا الغرض تحديداً كلّ هذه المقارنات والتأصيلات تأتي في سياق تقديم قراءة نقدية للتداولية الكونية عند هابرماس عموماً ونظرية الفعل التواصلية على وجه الخصوص من أجل الكشف عن كميّات اشتغال التّداوليّة الكونية تواصلية مدعّمة للآليات المعلوماتية والتكنولوجية التي نسعى إلى نفس الهدف وهو ضبط أفق المعنى.

لعل أهم مقولة تداولية تظهر عند هابرماس من تأكيده في المقالة الشهيرة (What is universal pragmatics) على أنّ عملية دراسة الخطاب في المجتمع وبين المجتمعات والذوات المختلفة لا تتم عبر دراسة الجمل من المستويات البنيوية المعروفة (الصوتية، الصرفية، النحوية، والدلالية) بل يجب أن يحدث تحول على مستوى آخر هو المستوى التداولي الذي لا يكتفي بدراسة الجمل من حيث صحتها أو خطئها وإنما في معناها ومدلولها ضمن استعمال التداول اليومي أي الانتقال من دراسة الكفاية اللغوية إلى الكفاية التواصلية الذي طوره هابرماس من خلال ما يلي نحاول تتبع بدقة معالم التأثير بالفكر التداولي لدى هابرماس (Austin) أوستين وغرايس سيرل Searle Paul Grice.

نحاول في هذا البحث أن نعالج الإشكالية التالية ما هو المشروع التداولي الذي جاء به هابرماس كإعادة البناء من جديد؟ وما هي ملامح وأبعاد الفهم الهبرماسي للتداولية التي طبعت مشروعه الفكري؟ وهل فعلاً تصحيحاته للفكر الغربي حققت نجاحاً أم عارض زمام التداولية؟

بناء على الإشكالية المطروحة يمكن القول بأنّ اهتمام هابرماس بموضوع الحداثة الغربية والمساهمة في إنجاز الفكر الغربي المعاصر على أصول جديدة يتناول الفكر النقدي، يتجه نحو المعرفة الفعل التواصلية، وكان منهج المقدمة عليه منهجاً تحليلياً أما المنهج الذي استخدمناه في بحثنا هذا فهو المنهج التحليلي النقدي.

ولمناقشة بحثنا قسمنا الموضوع إلى ثلاثة فصول وهي معنونة كالاتي الفصل الأول تناولنا النشأة وتاريخ التداولية التواصلية وبدوره قسمناها إلى ثلاث مباحث وهي المبحث

الأول تعريف التداولية، أما المبحث الثاني يتناول الأسس التي بنت عليها التداولية أما المبحث الثالث معنون بمبادئ التداولية.

أما الفصل الثاني معنون بنظرية الفعل التواصلية قسمناه كذلك إلى مباحث كالآتي المبحث الأول مفهوم نظرية التواصلية معنى التواصل الفعل التواصلية أهم شروط ومبادئ الفعل التواصلية.

أما المبحث الثاني فاعلية اللغة موقف هابرماس من اللغة البراغماتية العامة.

المبحث الثالث العقل الأداتي والعقل التواصلية.

نأتي إلى الفصل الثالث يورغن هابرماس على محك النقد

وقسمناه إلى مبحثين المبحث الأول بعنوان امتدادات الفكر الهبرماسي، أما المبحث الثاني أهم الانتقادات التي وجهت لهابرماس.

وقدما بحثنا هذا بخاتمة نلخص من خلالها أهم ما جاء في البحث.

سبب اختيار الموضوع: بسبب أن فلسفة هابرماس موضوع يستدعي الدراسة.

وكأي طالبة واجهت صعوبات في تحضير هذه المذكرة وأهمها صعوبة في ضبط منهجية الموضوع، وعدم القدرة على ترجمة المراجع التي باللغة الأجنبية إلى اللغة العربية فهذا يتطلب وقتا وجهدا كبيرينصعوبة فهم النصوص الهابرماسية التي يكتنفها الكثير من الغموض والتعقيد، فضلا عن ذلك نقص المراجع المتخصصة والمتعلقة بهذا البحث وذلك على مستوى مكتبتنا الجامعية.

الفصل الأول: التداولية في مشروع هابرماس

- المبحث الأول: نشأة التداولية وتطورها.
- المبحث الثاني: مبادئ التداولية التواصلية.
- المبحث الثالث: أسس التداولية التواصلية.

المبحث الأول: نشأة التداولية وتطورها

تمهيد:

لقد عرفت فكرة التداولية من قبل علماء العرب في العصور القديمة بمفهومها العلمي وناقشوها في كثير مما وصلنا من التراث الغني⁽¹⁾، على الرغم من عدم تأصيلهم لمصطلح التداولية بلفظة، فقد توافروا على كل ما تهتم به مظاهر اللغة ترفع سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى (الخطاب) التخاطب الفعلي وكانوا قد ترجموا العديد من المباحث المتصلة بهذا الموضوع في باب الخبر والإنشاء، ولم يتعين بهذا الموضوع اللغويين من النجاة. وعلماء البلاغة، فحسب بل اعتنى بها كل من علماء المنطق والفلاسفة والأصليون والفصحاء عناية شديدة وقد ورد التمثيل للتداولية في نحو إشارات مقتضبة عند الحديث من الحذف والتوكيد مثالا وذلك اعتماد على سياق نفسه بين طرفي الخطاب، وكذلك وردت عدد من الإشارات في المعاجم التي ترصد المجاز في اللغة مثل أساس البلاغة للزمخشري (538) إذا كانت البلاغة هي ميدانها الواسع (علم البيان) مثل المجاز بأنواعه والتشبيه والعناية والتقديم والتأخير.

من أبرز العلماء المسلمون الذين تناولوا الموضوعات المشهورة آنفا بالدراسة والتحليل عبد القادر الجرجاني، إذ تناول نظرية النظم مخالفة الأصل وعقد فصلا (يطلق) في اللفظ ويطلق المراد به غير ظاهره.

(1) محمد محمود يونس على مقدمة في غنى الدلالة والتخاطب درا الكتاب الجديد المتحدة الإمارات العربية ط1، 2004

والرازي في معرض حديثه عن المجاز يقول: (إن العدول عن الحقيقة إلى المجاز إمّا الذي يكون لأجل اللفظ أو المعنى أو لهما...أما⁽¹⁾ الذي يكون لأجل المعنى فقد ترك الحقيقة إلى المجاز لأجل التعظيم والتّحفيز ولزيادة البيان وتنظيف الكلام أمّا التعظيم فكما يقال: سلاما على مجلس العالي، فإنه يترك الحقيقة هنا من أجل الإجلال

أما زيادة البيان فقد تكون لتقوية حالته المذكورة⁽²⁾ وقد تكون لتقوية الذكر أمّا الأول فكقولهم رأيت أسدا، فإنّه لو قال رأيت إنسانا يشبه الأسد في الشجاعة لم يكن في البلاغة كما إذا قال: رأيت أسدا، أمّا الثاني فهو المجاز الذي يذكر للتأكيد. وأمّا تلطيف الكلام فهو: أنّ النفس لو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها شوق إليه أصلا لأنّ التحصيل المحاصل محال.

وعلى الرغم من كلّ الجهود والإشارات التي وجدت في كتب القدامى، إلّا أنّهم لم يعمدوا إلى وضع علم البراغماتية، إذ لا يمكن التحدث في البلاغة العربية ونظرية المقام، بالطريقة نفسها التي تمكّن المتحدث بها عن البراغماتية، إذا التاريخ الحقيقي لعلوم العربية هو تاريخ قراءتها فقط، أمّا البراغماتية لم تُقْم على ذلك ودليل ذلك أنّ مصطلح المقام استعمل بلاغيا ونحويا وأدبيا ونقديا ولم يقرأ برغماتيا، ذلك لأنّ العلماء العرب القدامى والقارئ كانوا لا يمتلكون هذا البعد البراغماتي على الرغم من إدراكهم بعضا من قوانين البراغماتية.⁽³⁾

(1) علاّق طاهر نظرية هابرماس النقدية مجلة الفكر العربي المعاصر مركز الانماء القومي العدد 44 لبنان ص58

(2) محمود أحمد نحلة آفاق الجديدة في البحث اللّغويّ المعاصر ص9

(3) مرجع نفسه ص8

تعريف التداولية: ومصطلح التداولية (pragmatics) يختلف عن المذهب الذرائعي في

الفلسفة (pragmatism) وأول من أعطى تعريفا للتداولية هو "موريس" إذ عدها جزءا من السيميائية حين ميّز بين ثلاثة فروع سيميائية وهي التركيب (النحو) ويقصد به دراسة العلاقات الشكلية العلاقات والدلالة ويقصد بها دراسة علاقة العلامات بالأشياء وأخيرا التداولية ويقصد بها دراسة (العلاقات) علاقة العلامات بمؤوليها.

وهناك محاولات حديثة لربط طرح "موريس" بالسياق الذرائعي لجارس "بيرس" ولا سيما مفهوم بيرس عن العلامة الفكر الذي إذ يري بيرس أنّه لا يمكن أن تملك القدرة على التفكير بلا علامات وأنّ كلّ التفكير هو بالعلامات وقد تبني بيرس عقيدة (العلامة والفكر) وهذه العقيدة قائمة على منهج للتأكد من المعاني الكلمات الصعبة والتصورات التجريدية. وقد سارت التداولية منذ ذلك الوقت في اتجاهين هما:

الدراسات اللسانية والفلسفية، وفيما يخصّ الاتجاه الأول درست التداولية بوصفها جزءا من السيميائية. ولما لها علاقة بأنظمة العلامات عموما وما يزال هذا المعنى اللساني قائما على حد الآن في الدراسات الفلسفية ولاسيما في منظور الفلسفة التحليلية إذ خضع مصطلح التداولية إلى عملية تضيق في مجاله وهناك من ساوي بن التداولية والسيميائية الوصفية وهو فيلسوف المنطقي كارب.

ولقد كان تعريف ⁽¹⁾ موريس محفزا وسببا للنهوض بمجموعة من الدراسات تضمنت دراسة الظواهر النفسية والاتجاهات الموجودة داخل الأنظمة العلامات بصورة عامّة أو داخل اللّغة بشكل خاص ودراسة التصورات التجريدية التي تشير إلى فاعلين، ودراسة المفردات التأثيرية ودراسة الأنكلوأمركية في اللسانيات والفلسفة واللّغة.

(1) عبد حكيم سحالة التداولية امتداد شرعي للسيميائية الملتقى الدولي الخامس السيميائية والنص الأدبي 15-17 نوفمبر

هذا فيما يخص السبب الأول أما السبب الثاني وهو التوصل إلى قناعة مؤدّاه أنّ المعرفة المتقدمة بالنحو والصرف والدلالة لم تستطع التعامل مع ظواهر معينة ذات أهمية بالغة وبذلك يمكن الإدراك المتزايد بوجود فجوة بين النظريات اللسانية ⁽¹⁾ من جملة ودراسة الاتصال من جهة أخرى. ومن الأسباب الأخرى اتجاه معظم تغييرات اللسانية تكون داخلية بمعنى أنّ السمة اللغوية تغمر بالإشارة إلى سمة معنوية أخرى أو إلى جوانب معينة من داخل النظرية، وقد ظهرت الحاجة إلى ظهور تغيير ذي مرجعية خارجية ممّا أدى إلى ظهور وظيفة كرد فعل على الاتجاهات المذكورة آنفا ممّا مهّد لظهور التداولية.

لقد عين الدراسة التداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب ويرى الباحثون أن بحث التداولية يقوم بدراسة أربعة جوانب ⁽²⁾ هي الإشارات، والافتراض مسبق، والاستلزام الحوارى، والأفعال الكلامية

أ) الإشارات:

هي تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي المتكلم ⁽³⁾ والملقى وزمن المنطوق ومكانه... وقد سمّيت بالمعينات وهذه التعبيرات غير مستقلة، إذا لها دائما محيلات أخرى تحيل إليها.

(1) عبد هادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب مقارنة اللغوية دار الكتاب الجديد بيروت لبنان 2004 ص21

(2) جميل صلبيا المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللساني بيروت 1993 ص283

بيرس: هو فيلسوف وعالم المنطق وعالم الرياضيات أمريكي أصل ولد 10 سبتمبر عام 1839 وتوفي 16 أفريل 1919 يطلق عليه في بعض الأحيان لقب أب البراغماتية أو العملانية كان يعلم المنطق تلقى تعليما يؤهله ليصبح كيميائيا.

(3) خليفة بوجادي خصائص التركيب اللغوي في بوبات النور للنشر الجزائري عبدالقادر بين محمد القاضي دراسة الوظيفية التداولية بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة ص32

وهذه الإشارات قد تكون زمانية (أمس، غد) أو خطابية (لكن، ك) ذلك... أو مكانية، أو تكون متعلقة بالمتكلم والملقي (أنا، أنت)... الخ

(ب) الافتراض المسبق:

يعتمد الافتراض المسبق على المعلومات المشتركة بين المتكلم والملقي إذ يوجه المتكلم حديثه للملقي على ما هو معلوم عنده مسبقا مثال أن يقول شخص لآخر أغلق النافذة، فمن المفترض أن تكون النافذة مفتوحة وأن الملقي قادر على إغلاقها وكل ذلك متعلق بالسياق.

(ت) الأفعال الكلامية: تعد الأفعال التي ينجزها الإنسان، وذلك بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب عن طريق جملة يعبر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل، فليس التلفظ بالخطاب فعلا تصويبيا فحسب بل هو فعل لغوي، وهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا عن طريق اللغة.

وهذا كله يجعل الخطاب فعلا بمجرد التلفظ به.

هذه النظرية استأثرت اهتمام الباحثين في جوانب النظرية العامة لاستعمالها (اللغة) إذ يرى علماء النفس أنّ اكتسابها شرط أساسي لاكتساب اللغة كلها. وكذلك النقاد الأدب يرون فيها إضاعة لما تجعله النصوص من فروق دقيقة في استعمال اللغة وما تحدثه من تأثير في الملقي.

أما الأنثروبولوجيون فيأملون أن يجدوا فيها تغييرا للطقوس والرقى السحرية، يرى الفلاسفة أنّ فيها مجالا خصبا لدراسة علاقة اللغة بالعالم. وأخيرا وجود اللغويين في

الأفعال الكلامية حلولاً لكثير من مشكلات الدلالة والتركيب وتعليم اللغة الثانية وبعد كل هذا فإنّ الأفعال تظل واحداً من أهمّ المجالات في درس التداولية إن لم يكن أهمّها جميعاً، بل إنّ التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية وليس غريباً بعد هذا يعدّ أوستين أبا للتداولية.

لقد كان أوستين⁽¹⁾ فيلسوفاً من فلاسفة اللغة العادية في العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين ولم يكن لغويّاً، وكان بعض الفلاسفة من أهمهم (راسل وفينيجتان) من الذين يسعون لإيجاد لغة مثالية تتجنّب كلّ عيوب اللغة العادية وبذلك تكون أكثر ملاءمة للذكر الفلسفي، ولكن راسل وفينيجتان كانا قد عدلا بعد نحو عشرين عاماً من ذلك وبعد ذلك اتجه فينيجتان إلى دراسة اللغة العادية.

ومن أهمّ ما رآه فيجيتاين في وظيفة اللغة أنّها لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها لكن للغة وظائف عديدة كالأمر والاستفهام والتمني والشكر والتهنئة والقسم والتحذير... الخ

واللغة عند فيجيتاين تتعدد معانيها بتعدد استعمالها في الحياة اليومية وكذلك تعدد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها إذ المعنى عنده هو استعمال وليس اللغة

(1) أوستين: (1911-1960) هو فيلسوف إنجليزي أحد ممثلي الفلسفة اللغة تخرج في جامعة أكسفورد متخصص في الآداب أهم مؤلفاته أوراق العلمية 1961 الحس والمحسوس (1962).

موريس: فيلسوف فرنسي 1932-1957 تأثر بفيغينولوجيا مورس بالنظرية المثالية التي وجهت اهتمامه نحو البحث في الدور المحسوب والعبء والتجربة الإنسانية بوجه علم معرفة بوجه خاص أم كتبه فيغينولوجيا الإدراك.

عنده حسًا منطقيًا دقيقًا لكل كلمة فيها من محدد ولكل جملة معنى ثابت إذ لا تنتقل من جملة إلا ما يلزم عنها من جمل مع مراعاة قواعد الاستعمال المنطقي.

لقد أثر فيجيتاين (1) في أوستين تأثيرًا بالغًا فتصدى للردّ على فلاسفة المنطقية الوضعية logical positivisme في محاضراته التي ألقاها في أكسفورد ما بين 1905 و1954، وكذلك في محاضراته التي دعي لإلقائها في هارفارد وعدّها سنة 1900 وقد تم جمع محاضرات أوستين من قبل إرموس التي ألقاها في هارفارد وعدّها اثني عشرة في كتاب نشر بعد وفاة أوستين 1970 بعنوان to do things with word وقد ذكر في هذا الكتاب أن هناك عددًا من العبارات المنطوقة لا يخبر ولا (يعوض) أي شيء وعلى هذا الأساس فهو ليس (صادقًا ولا كاذبًا) لكنّ النطق بالجملة هو حدث أو جزء من حدث معيّن.

يرى فلاسفة الوضعية المنطقية أنّ اللغة (2) وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات (الصدق والكذب) فإنّ طابقت الواقع فهي صادقة وإن لم تطابقه فهي كاذبة وإذا لم تطابق العبارة واقعا فليس من الممكن الحكم عليها بصدق أو كذب وهي بذلك لا معنى لها.

ويمكن تقسيم الأفعال الكلامية على أقسام هي:

(1) فيجيتاين: فيلسوف نمساوي بريطاني عمل أساسًا في منطق الفلسفة الرياضيات وفلسفة العقل وفلسفة اللغة يعتبر

واحدًا من أعظم الفلاسفة في العصر الحديث من عام 1929-1947

(2) زاوي بخورة فلسفة واللغة نقد منعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ط1 (دار الطباعة والنشر بيروت 2005)

(1) أفعال إخبارية: هي أفعال تصف الواقع، وقد تكون صادقة أو كاذبة.

(2) أفعال أدائية: وهي أفعال التي تتجزأ في ظروف ملائمة ولا توصف هذه الأفعال

بصدق أو كذب ويدخل ضمنها التسمية، الوصية، الاعتذار، والشكر، والمواس،

والنصح...

يرى أوستين أنّ الفعل الكلامي مركّب من ثلاثة أفعال، وهذه الأفعال تعدّ جوانب مختلفة

لفعل كلامي واحد ولا يمكن الفصل بينهما لأنّ كلّ واحد من هذه الأفعال مكمل للآخر.

(أ) الفعل الإنجازي: ومعنى ذلك أنّ المتكلم حين يلفظ لفظا معين فهو ينجز معنى

قصديًا وتأثيرًا مقصودًا وقد أسماه أوستين بقوة الفعل وهناك شرط اشترطه أوستين

لتحقق هذا المعنى الإنجازي وهو توفر السياق المعرفي المؤسّساتي لغة ومحيطا

وأشخاصا فعبرة مثل سأحضر لرؤيتك غدا معناه الإنجازي هنا (الوعد) وذلك على

مدى توافر الشروط، بحيث يكون المتكلم قادرا على الإيفاء بوعده.

(ب) الفعل التأثيري: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو

المخاطب، سواء كان هذا التأثير جسديا أو فكريا أم شعوريا سلوكيا ظاهريا أم لغويا.

وقد قسم أوستين هذه الأفعال الثلاثة المذكورة آنفا (1) بعد ما تبين له تمييزه للأفعال

الإخبارية والأدائية، غير حاسم وأنّ كثيرا ممّا تنطبق عليه شروط الأفعال الأدائية ليس منها

وأنّ العديد من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة أدائية.

(1) نوري سعودي أبو زيد في تداولية الخطاب الأدبي والمبادئ والإجراء بيت الحكمة للنشر والتوزيع سطيف الجزائر ط1

كما ذكر آنفا أنّ الفيلسوف الإنجليزي "أوستين" كان له الفضل في تنظير الأول لنظرية أفعال الكلام في اللسانيات الحديثة عبر العديد من المحاضرات التي نشرت بعد وفاته في كتاب حمل عنوان (كيف نفعل الأشياء بكلام) 1962 وقد ركّز أوستين في كتابه هذا على فكرة أننا عندما نتفوّه بالملفوظات لا يمكن الحكم على أنّها خاطئة أو صائبة.

إنّ قوة بملفوظات معينة يدلّ على فعل معيّن مثلاً عندما يقول شخص ما (إنّي أعذر عند تأخير) فهو إلى جانب فعل التفوه قام بفعل الاعتذار، لذلك فإنّ النطق ببعض العبارات نتج عنه الرهان أو الاعتذار والشكر...

ومثل الجملة السابقة الكثير من اللّغة وهذه لا يمكن الحكم بصوابها أو خطئها أو الأفعال المستعملة في مثل هذه الجمل تسمى (الأفعال الإنجازية) مثل أعذر، أشكر، أصدق، أقبل، أطلب وغيرها.

الالتزام الحواري:

يعد الالتزام الحواري من أهمّ جوانب الدراسة التداوليّة⁽¹⁾ فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه وأبعادها⁽²⁾ من الالتباس بمحاولات الدرس الدلالي وعلى الرغم من ذلك فليس له تاريخ ممتد خلافاً لكثير من موضوعات بحث التداوليّة، وذلك لأنّ نشأة البحث فيه ترجع إلى محاضرات التي دعا إليها غرايس وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة

(1) محمود أحمد نحلة آفاق الجديدة في البحث اللّغويّ المعاصر ص13-14

(2) المرجع نفسه ص15

الطبيعية (natural language) إلى إلقائها في جامعة هارفارد 1967، وقد قام في هذه المحاضرات بإيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس والأسس المنضبطة التي يقوم عليها، وقد طبعت أجزاء مختصرة من محاضراته 1975 وفي بحث يحمل عنوان المنطق الحواري. إذا كانت أبحاث أوستين قد انصبّت في غالبها على جوانب الكلام المتعلقة في الكلام المباشر وغير مباشر فإنّ غرايس قد وجّه مسار الحوار العملية التخاطبية (1) وبين كيف ينتقل المرسل إليه الكلام المرسل معناه الظاهر إلى معناه الخفي الذي يقتضيه. أكّد غرايس أنّ النّاس في حوار تعلم قد يقصدون ما يقولون وقد يقصدون عكس ذلك، فانصبّت دراسة غرايس على ما يقال وما يقصد فما يقال هو المعنى الظاهر فما يقصد فهو المعنى الباطن الخفي المتضاد المعنى الأول إذ تقوم هذه النظرية على فكرة الجمل في غالبها تدلّ على معانٍ صرفية ضمنية بتحدد معناه على وفق السياق الذي وردت فيه الالتزام التخاطبي هو عمل المنفي أو لزوم شيء عن الطريق قول شيء آخر.

إنّ نظرية الالتزام الحواري هي لون من ألوان الإضمار الحواري فتدرس الجمل على وفق التداول الفعلي (2) وذلك لظروف السياق محيطة بها ويمكن الاستعانة بذلك بالسيكولوجية الشعبية التي تكون سبيلاً للفهم ما يقال فلو سئل ضيف هل تشرب بعض القهوة ؟ فيجيب القهوة سوف تبقيني صاحياً ويكون تأويل القول أنّ المرسل إليه قد رفض عرض المرسل، فالمتكلّم لا يبيّن كلامه في عزلة عن العالم بصفة عامّة، والمرسل إليه

(1) نظرية أفعال الكلامية بين فلاسفة المعاصرين والبلاغيين العرب طالب سيد ماضي الطبطباني مطبوعات جامعة كوت

1993م دط

(2) التداولية أصولها واتجاهاتها جواد غنام دار النور المعرفة والنشر والتوزيع عمان ط1 2013

بصفة خاصّة وإنّما يكون بناؤه متعلّقا بشخصية هذه المرسل إليه الاجتماعية، كذلك فالجوانب المتعلّقة بالقدرات الفكرية والاستدلالية أهميتها بالغة في العملية التواصلية، فالمتكلم يفترض مسبقاً أنّ المخاطب يمتلك القواعد الخطابية التي تمكّنه من إدراك ما يضمنه الكلام ومعاني غير مباشرة.

إنّ الالتزام التخاطبي له خصائص تميزه عن غيره يمكن إيجازها فيما يلي:

(أ) الالتزام قابل الإلغاء ويكون ذلك عندما يعمد المتكلم على سدّ الطريق أمام المخاطب وهو طريقه للوصول إلى المعنى الضمني الذي أراده المتكلمّ مثال ذلك أن تقول قارئ للكتاب لم (يقرأ) اقرأ كلّ كتبك إذ يستلزم هذا الكلام أنّها قرأت بعضها منها.

(ب) الالتزام لا يقبل الانفصال عن محتوى دلالي:

وهذا يبيّن تميّز الالتزام الحوارى عن أنواع الاستدلال المنطقي الأخرى كالفرض المسبق، فالالتزام الحوارى لا يتصل بالصيغة اللغوية التي قبل بها (1)، وإن يتصل بالمعنى الدلالي لم يقال، وبعد ذلك لا ينقطع المعنى المستلزم وإن استبدلت بمفردات أو عبارات مرادفة لها.

(ت) الالتزام المتغير: إذا كان أو يمكن للالتزام الواحد أن يسأل شخص شخصاً آخر عن عمره وهذا يستلزم (2) مجموعة من دلالات (طلب العلم أن التوبيخ على نوع من

(1) المدار اللسانية المعاصرة. نعمان بوقرة. مكتبة الأدب. الناشر القاهرة ط دس

(2) التّداوليّة للنظر النحوي عند سيويو عالم الكتاب الحديث الأردن ط 1 سنة 2006 ص 263-264

السلوك لا يرضاه المتكلم) أو حيث المسؤول على اتخاذ قراره بنفسه أو الذي يتحمل عواقب اختياره.

ث) الالتزام يمكن تقديره فالمرسل إليه يقوم بخطوات محسوبة للوصول إلى ما يلزمه الكلام.

ويقترح غرايس أن العبارات اللغوية تنقسم حمولتها الدلالية إلى معان صريحة وأخرى ضمنية يمكن إيضاحهما فيما يلي:

أ) المحتوى القضوي: هو مجموع معاني جملة من الجمل مضموما بعضها إلى البعض في علامة إسناد.

ب) القوة الإنجازية الحرفية: هي تلك القوة المؤثرة لها بأداة تصبغ الجملة بصيغة أسلوبية معينة (مثل الاستفهام، الأمر)

- المعاني الضمنية: هي المعاني التي يدل عليها سياق ولا يمكن الوصول إليها إلا عن طريقه⁽¹⁾، ولا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة وتشتمل على:

- معاني عرفية: ترتبط هذه المعاني بالجملة ارتباطا وثيقا إذ تلازمها ملازمة كافية

مثل معنى (الاقتضاء) ويقصد به المضمون الذي تبلغه الجملة بطريقة غير مباشرة.

- معاني حوارية: وهي التي تتولد على وفق المقامات التي تتجر فيها الجملة وذلك

مثل الدلالة الاستلزامية.

(1) استراتيجية الخطاب عبد هادي بن ظافري الشهري دار كتاب الجديدة المتحدة ط1 ليبيا 2005م

يلخص أحمد المتوكل بقوله إنّ (القوة الإنجازية التي يمكن أن تواكب العبارات اللغوية

قوتان:

- قوة حرفية.

- قوة إنجازية مستلزمة.

ويتميز عادة بين هاتين القوتين على أساس أنّ القوة الأولى مدلول عليها بطريقة مباشرة،

بصيغة العبارة في حين أنّ القوة الثانية تتولد عن الأولى طبقاً لمقتضيات مقامات معينة.

فيما يتعلق بالتمييز بين القوتين ⁽¹⁾ الإنجازيين العرفية والمستلزمة مقامياً.

من ذلك كله يتضح أنّ القوة الإنجازية الحرفية ملازمة للعبارة اللغوية مهما اختلفت

المقامات أما القوة الإنجازية المستلزمة فمتغيرة على وفق المقامات التي ترد فيها.

(1) تحليلات مفاهيم التداولية التراث العربي رسالة ماجستير

١. التداولية في العرف الاصطلاحي:

إنّ الباحث في المعاجم اللغوية تستوقفه جملة من المعاني تندرج في فلك الجذر اللغويّ (دول) وإذا كانت في مجملها لا تخرج عن إطار التحوّل والتّبدل^(١). وقد جاءت مادة (دول) في معجم مقاييس اللغة على هذين الأصلين لأحدهما يدل على تحول شيء من مكان لآخر والآخر يدلّ على ضعف الإسترخاء فقال أهل اللغة إنزال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان ومن هذا الباب تداول القوم على الشيء بينهم، إذ صار بعضهم إلى بعض والدولة والدولية لغتان ويقال بل الدولة من مال الدولة في الحرب وإنّما سميا بذلك من قياس الباب لأنه أمر يتداولونه فيتحول من هذا إلى ذلك ومن ذلك هذا.

وجاء على لسان العرب^(٢) تداولنا الأمر أخذناه بالدول وقالوا دوليك أي المداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس وتداولية الأيدي أخذته هذه المرة وهذه المرة.

يتضح ممّا تقدم ذكره أنّ الجذر اللغويّ (دول) لا يكاد يخرج في المعجمات العربية على معاني التحول والناقل الذي يقتضي وجود أكثر من حال ينتقل الشيء وتلك الحال اللغة المتحوّلة^(٣) من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السّامع ومتنقلة بين الناس

(١) عبد المالك مرتاضي، نظرية النص الأدبي، دار هومة الجزائر ط 1 2007 ص 403

(٢) ابن منظور لسان العرب دار معارف القاهرة مصر 1981 ص 1455

(٣) أودينة سليم فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس ص 43

يتداولونها بينهم ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتاً بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعية والنفعية والسياقية.

ومن المتوقع أنّ هذه المعاني اللغوية هي عادت (طه عبدالرحمن) لوضع مصطلح (التداوليات) في مقابل اللفظ الأجنبي (pragmatique) وقد أراد بذلك يكون موصولاً بهذا المدلول اللغوي وصولاً وثيقاً فالدلالة الاصطلاحية تأخذ بأعناق الدلالة اللغوية ومن هذا المنطلق حدد (طه عبدالرحمن) مفهوم المجال التداولي بقوله (من المعروف أنّ الفعل تداول في قولنا (تداول الناس كذا بينهم) يفيد المعنى (تناولناه) تناقله الناس وأداروه فيما بينهم ومن المعروف ⁽¹⁾ أيضاً أن مفهوم النقل ومفهوم (الدوران) مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة فيقال (نقل الكلام عن قائله) بمعنى رواه عنه كما يقال: (نقل الشيء عن موضعه) أي حرّكه عنه ويقال أدار على الألسن بمعنى جرى عليهما كما قال (دار الشيء) بمعنى طاف حوله.

هي التي دفعت طه عبدالرحمن إلى أن يربط النقل والدوران بمعنى التواصل لأنّهما يدلان في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين.

(1) محمد محمود يونس علي مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب دار الكتاب الجديدة المتحدة الإمارات العربية ط1

يرجع المصطلح إلى مادة دول وقد وردت على أصليين أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان لآخر والآخر يدل على معنى الاسترخاء فقال أهل اللغة آنذاك القوة (1) معناه تحولوا من مكان لآخر ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم إذا صار من بعضهم.

فمدار اللفظ في مادة دول هو التناقل والتحول بعد أن كان مستمرا موضوع منسوبا إليه وقد اكتسب مفهوم التحول ولعل الصيغة التي عرف بها تجمله أكثر دلالة على التناقل والتحول وتعدد وهي دلالات التي تناقلها المعاجم الأخرى فقد قدمها الزمخشري على أنها التناقل (2) وأنه يداول تلك الأيام بين الناس.

وتتوافق مجموع المعاني الدالة على التناقل والتحول من حال إلى حال مع طبيعة اللغة ذاتها كونها ظاهرة اجتماعية متحوّلة ومتداولة تعتمد معانيها على مستوى السياق الذي يضمن حد أقصى للمعاني اللفظية تارة فاللغة منتقلة بين الناس يتداولونها بينهم منذ الأبد إلى الأزل ومن أجل ذلك كان مصطلح تداولية (3) أكثر ثبوتا من المصطلحات الأخرى.

(1) نوري سعودي أبو زيد في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء بيت الحكمة للنشر والتوزيع سطيف الجزائر ط1

2009 ص 26-30

(2) الزمخشري، أساس البلاغة تحقيق محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1998 ص 303

(3) أن روبل وجاك موشار التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص 30

تعريف التداولية: نستنتج أنّ التداولية

1- في دلالة الجذر اللغوي⁽¹⁾:

يعد مصطلح الأجنبي (LA PRAOMATIAVE) إلى الكلمة (PRAEMATKUS) ومبناها على الجذر (PRAGMA) الذي يعني الفعل (ACTION) اللاحقة مارت تفي كلّ مسألة ما له علاقة بالفعل والتحقق العلمي في الواقع وقبل أن يدخل هذا المصطلح مجال الفلسفة الأدبية. استعمل في المجال القانوني، بالتحديد في عبارة (PRAOMATIAVE) التي تعني المنشور أو المرسوم الذي يرمي إلى اقتراح حلول نهائية وقابلة للتطبيق والتحقق في الواقع لقضية مهمة ثم وظف هذا المصطلح في مجال العلوم الصرفة، ليحل على كلّ بحث وجهد علمي أقصى إلى نتائج قابلة للتطبيق العلمي، ثم صار يطلق في اللغة مستعملة في عبارة مثل هذا التفكير علمي (ثم صار يطلق في اللغة) أو هو شخص علمي واقعي أي نزاع ومثال إلى اقتراح وإيجاد حلول العلمية والواقعية لما قد يطرح للمشكلات وعقبات.

ومن هنا تظهر سعة الحقل المعرفي التداولي أن يمكن أن يمثل اللسانيات وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجي في البحث التداولي منشغل بكل ما تثيره المجالات المعرفية قضايا لذلك لا نستغرب الاختلاف القائم بين هؤلاء سواء طريقة البحث أو غايته إلى درجة تتيح لنا الحديث عن البراغماتيات متعددة لا واحدة.

2- المفهوم الاصطلاحي:

إنّه لمن الصعوبة بمكان الإلمام بتعريف مضبوط للتداولية وذلك للأسباب التالية:

(1) دراسة التداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسان العربي دار الطليعة بيروت لبنان ط1 2005 ص5

1- اتساع رقعة المفهومية بحيث أنها لا تنتمي إلى أي نوع من المستويات اللغوية المعروفة لدى الباحثين فهي دراسة ⁽¹⁾ فضاضة تلقي بدلالاتها على جميع المستويات وليس لها وحدات للتحليل كما سيأتي.

2- تعد التداولية ملتقى لكثير من العلوم في حين أنها تقف وتستقر عند أحد منها فهي تلتقي في علم الدلالة وعلم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي وتحليل الخطاب يقول أحمد نحلة "وهي كذلك لا تتطوي تحت علم من علوم التي لها علاقة باللغة بالرغم من أنها تتداخل معها في بعض الجوانب الدرس.

يقول ما نتونو: "إنه من الصعب الحديث عن التداولية لأن التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم المختلفة تتقاسم عددا من الأفكار واللسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بذلك (التداولية) بل تعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطق وتتجاوز اهتماماتها بمجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى التواصل وتطفي على موضوع الخطاب لتصبح نظرية عامة للنشاط الإنساني.

أ- التعريف 1: التداولية دراسة واستعمال اللغوي الذي يقوم به الأشخاص لهم معارف خاصة ووضعية اجتماعية معينة.

ب- التعريف 2: التداولية دراسة المبادئ التي تمكننا من إدراك غرابة الجمل أو عندهم مقبوليتها أو لضبطها أو ردودها في لغة المتكلم.

(1) التداولية: هي دراسة اللغة لوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية نقطة مشتركة لمعرفة تهتم بتواصلية الإنسان.

إنّ الواقع المدلول وعلل إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث وقد اختلف مفهوم بيرس للتداولية بتطور مراحل فكره إذا انطلق أو لا تساءل والبحث في كيفية جعل أفكارنا أكثر وضوحاً وانتهى تصورنا للموضوع ما يقاس بالنتائج العلمية المرتبة عند بيرس بالإشارة اهتماماً بالغاً وبحث عن طرق التي بواسطتها يتم الاتصال بين الأفراد وجعلها نظرية ليعبر من خلال ذلك فيما كتبه وعبر عنه في تلخيصه لإطار العام وذلك فيما كتبه أنّ اللسانيات المتداولة تفرض كلا من الدراسة التركيبية للدلالة.

التداولية بهذا المنظور هي نقل الواقع وسيلة من وسائل المعرفة والاتصال ومنهج لجميع ميادين المعرفة لذلك رأى بيرس أنّ بالتحديد التداولي تتحدد العلامة اللسانية بحكم استعمالها في تنسيق مع علامات أخرى (من طرف) جماعة معينة فالعلامة اللسانية علاقة بظروف استعمالها ومحيطها عند شالز موريس من مؤسسي ومنظري التداولية الباحث شارلز موريس الذي اعتبر التداولية جزءاً من السيمائية عند تمييزه فروع لهذه الأخيرة وهي علم التراكيب، علم الدلالة والتداولية، ولقد نبه إلى علاقة الرموز بمسؤوليتها وكلّ الفروع مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً فالتداولية تدرس كيفية تغيير الملتقى للعلامة وهذا التغيير لا يتم بمنعزل عن كلّ البنى التركيبية والنحوية للغة المستخدمة.

المبحث الثاني: مبادئ التداولية التواصلية:

قواعد تحكم عملية التخاطبية أطلق عليها غرايس ⁽¹⁾ تسمية (القواعد الخطابية)

ويمكن تصنيفها كالآتي:

1- قاعدة الكم: تقوم على قاعدتين أساسيتين:

- أن تكون مساهمتك على قدر المعلومات ⁽²⁾ المطلوبة منك.

- ألا تكون مساهمتك أكثر ممّا مطلوب منك.

2- قاعدة الكيف: تقوم على قاعدتين:

- يجب أن تكون مساهمتك صادقة لا تقل ⁽³⁾ ما تعتقد أنّه كاذب.

- لا تقل ما يفتر إلى دليل كاف عليه.

3- قاعدة الملاءمة: تقوم على جعل مساهمتك في حوار ملائمة واردة.

4- قاعدة الطريقة: تقوم على ما يلي:

- تجنب الغموض والإبهام.

- كن موجزا.

- كن منظما منهجيا.

⁽¹⁾ ولد هابرت بول غرايس في برمنجهام بإنجلترا في خامس عشر من عام 1913 وعمل أستاذا في جامعة أكسفورد من

عام 1983 حتى عام 1967

انتقل إلى كاليفورنيا بير علي وافته المنية 1988 اشتهر غرايس بإسهاماته في فلسفة اللغة وبخاصة تحليلية المعنى

المتكلم ونظرية القصيدة حوليات الأدب الحولية الخامسة والعشرون 2005 دط ص 17

⁽²⁾ أرمينكو فرانسواز المقاربة التداولية ص 18

⁽³⁾ استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية دار الكتاب الجديد بيروت لبنان 2004 ص 21 التحليل التداولي الأفق

وإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية.

وبعد كلّ هذا العرض للقواعد فإنّها تعدّ ضوابط لكلّ عملية تخاطبية وعلى كلّ من طرفي الخطاب (المرسل والمرسل إليه) الالتزام بمبدأ التعاون ⁽¹⁾ وإذا أخل أحد الطرفين بإحدى القواعد وجب على الطرف الآخر أن يصرف المعنى إلى معنى خفي يقتضيه المقام يتم الاستدلال عليه بواسطة المعنى الظاهر والقرائن المصاحبة للحوار.

وبعد العرض فإنّ الغاية المرجوة من هذه القواعد التي حددها (غرايس) هو تنظيم عملية التخاطب بين الأطراف إذ صوّرها على شكل لعبة إلا ولها قواعد تنظّمها، وقد يحدث أن يتم الخروج عن إحدى هذه القواعد ⁽²⁾ الفرعية مع احترام المبدأ العام وقد استعمل غرايس مصطلح (الفرق) للتعبير عن الخروج عن هذه القواعد ⁽³⁾ التي تهدف إلى اشتقاق دلالات جديدة.

(1) نحلة محمد أحمد آفاق جديدة البحث اللغوي المعاصر مصدر سابق ص32

(2) Française latavevse la pragmatique histoire et critique Ed Pierre Mardageliège poelgique 1987 p137

(3) أدواري العياش الاستلزام الحواري في تداول اللساني ص118

المبحث الثالث: أسس التداولية التواصلية.

تقوم التداولية على المفاهيم الثلاثة يمثل تحديدها أساس الدرس التداولي لوجودها

متضمنة القراءة التداولية لكل الخطابات وهي:

أ- مفهوم الفعل: يتجاوز مفهوم الفعل في التداولية مفهوم التمثيل العالم وإنتاج ألفاظ دالة

على المعاني⁽¹⁾، إلى القيام بفعل الممارسة التأثير من خلال استعمال اللغة هذا

المفهوم الذي أسس لنظرية أفعال الكلام وقد قسم أوستين الأفعال إلى إنجازية (actes

performatifs) وتقريرية أو الوصفة (actes constatifs) بحيث يقترن في الأولى الإنجاز

بالتلفظ نحو بعت، اعتقدت فالعمل من دلالة اللفظ، وفي الثانية تصف حالة عالم

مستقل عن التلفظ نحو اقتربت الساعة إلى جانب ذلك فقد قسم سيرل الأفعال الإنجازية

إلى خمسة أصناف (التأكيدات، الأوامر، الإلتزامات

ب- في مفهوم السياق: يعني الموقف الفعلي توظف فيه الملفوظات والمتضمن بدوره لكل

ما نحتاجه لفهم وتقييم ما يقال.

ت- مفهوم الكفاءة: يعتبر مفهوم الكفاءة إشارة اعتماد التداولية لاستعمال اللغة في السياق

أو هي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق وبناء على ذلك تتحدد كفاءة

وميزات المتكلمين

(1) الزواوي بخورة الفلسفة واللغة نقد معطف اللغوي للفلسفة المعاصرة ط1 دار الطباعة والنشر بيروت 2005 ص209

II. مساهمة هابرماس في تطوير التداولية التواصلية:

بين تأصيل أوستين وفهم هابرماس: نشأة التداولية وتطورها

يمكن حصر الأطروحة التداولية لأوستين في ثلاثة نقاط أساسية هي:

1- رفضه مسلمة البنيوية القائلة أن اللغة بناء معلق على ذاته يجب دراسته داخليا

بمعزل عن كل سياق خارجي.

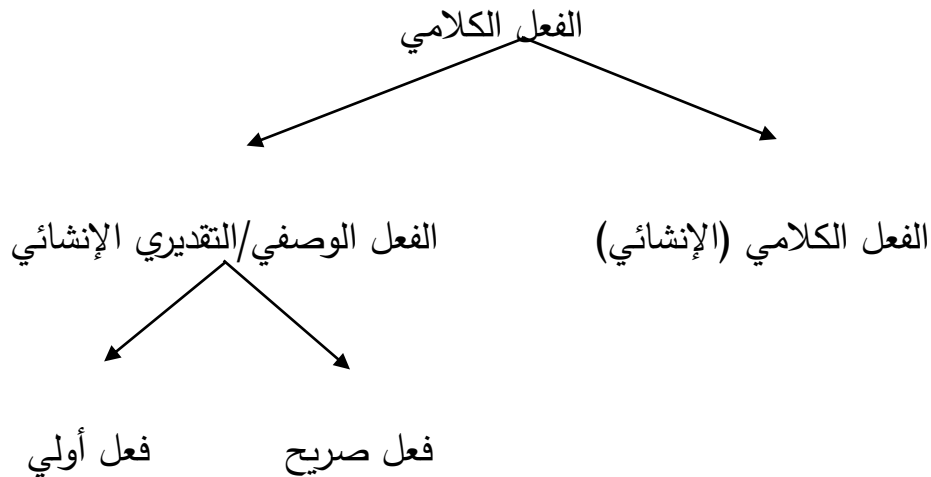
2- رفضه الثنائية القائلة بصدق القضية من خطئها واستبداله إياها بتحقيق الفعل

ونجاحه من فشله ونجاحه.

3- اعتباره أن كل قول كلام هو عبارة عمل/فعل

ومن خلال هذا العنصر الثالث بنى أوستين نظريته في الأفعال الكلامية قسم الأفعال

الكلامية كما هو في الخطاطة التالية: (1)



(1) انتقينا هذه الخطاطة من قراءتنا المحاضرات السنة الأولى من كتاب أوستين المذكور آنفا.

ومن ثم الفعل الكلامي ينقسم إلى الفعل الإنجازي (acte) وهو فعل الذي لا

يمكننا أن نصفه بالصدق أو الكذب ⁽¹⁾ إذ إنَّ ما يمكن أن نقوله هو أنَّ هذه الأقوال

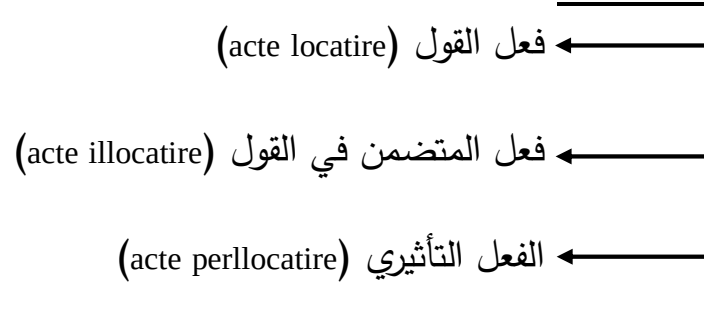
قد تتجح أو قد تخفق أو أنَّها تستجيب لمقتضى الحال أو لا ومثال هذا الفعل ملفوظ

أنجز عملك (بصيغة الأمر) أمَّا الفعل الوصفي/التقريبي (acte constatif) فيمكن

أن يكون ملفوظا كاذبا أو صادقا ومثال هذا النوع: الشمس مشرقة على كلِّ البلاد

وقد حاول أوستين أن يجد معايير تفصل بين الأفعال الإنجازية، لأنَّه رأى في كلِّ

الأفعال أيا كانت إنجازية بطريقة أو بأخرى فتصمم كما هي مرسومة كالتالي:



في فعل القول ينتج عن مجرد النطق بمجموعة من الأصوات مترابطة من

الناحية الصرفية والنحوية، أمَّا الفعل المتضمن في القول فهو الفعل المتحقق

والمتضمن عند النطق بملفوظ معين فيما يتعلق الفعل التأثري بالعمل الناتج لدى

متلقي القول.

بعد الطرح الموجز لفكر أوستين التداولي نحاول الكشف عن مدى استفادة هابرماس

منه وما قدمه من تصفيات لأفعال الكلام.

⁽¹⁾ جاك ماك فيري فلسفة التواصل ص17

إنّ أهم نقطة استفاد منها هابرماس تلك الفكرة القائلة بأنّ كلّ قول عبارة عن فعل ومن ثم يحدث الانتقال بصفة طبيعية إلى النقد السياسي على مستوى اللّغويّ/الخطابي بدل نقد الأعمال والتصرفات السياسية ⁽¹⁾ في الواقع الحقيقي، فالتركيز يجب أن يتم حسب هابرماس على النقد الإيديولوجي والسياسي عبر خطابه الحامل له باعتباره تحييدا له بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فعلى الباحث أن يستفيد من التّداوليّة في تحليل الخطابات السياسية ⁽²⁾ من أجل الكشف عن خباياها وأسرارها قبل أن تصبح أفقا لا حقيقة لها على الأرض الواقع الكشف عن الظلم والقهر والخبث في خطاب الأحزاب والمنظمات السياسية قبل أن تصل إلى الحكم فتتجسد تلك الأقوال على الميدان، يقول أودين سليم في هذا الصدد إنّ التركيز على البحث في مختلف الخطابات وبناءها الفكري المبرث فيها وإسكانه معاني ودلالات تلك الخطابات جعل تصور العالم مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتصور اللّغويّ له.

وذلك احتل مبحث التواصل قصب السبق في البحث الفلسفي ⁽³⁾ تظهر الفكرة جلية في فهم حسن مصدق لمفهوم العمل لدى هابرماس في قوله "يفهم هابرماس العمل كنشاط عقلائي موجه لهدف وغاية وهو ينقسم بدوره إلى نوعين فعل أدائي ويخضع لقواعد تقانية واختيار عقلائي ينتظم وفق الاستراتيجيات قائمة على معرفة

(1) كتاب بلانشيه فليب من أوستين إلى هوفمان ص19

(2) نير رحيمة تداولية النص الشعري جبهة إشعار العرب نموذجا مخطوط دكتوراه جامعة باتنة الجزائر 2006-2007

ص18

(3) عبد هادي مدقن التحليل التداولي الأفق والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية ص88

تحليلية، فالفعل قبل أن يتم تجسيده على أرض الواقع يتم تشكيله ضمن منظومة عقلية وذهنية يتم نقلها إلى الواقع الفعلي عبر اللّغة التي كانت على الدوام وسيطا رمزيا لنقل الأفكار.

نقطة أخرى نجدها لدى هابرماس وفي الوقت نفسه نعثر عليها لدى أوستين وهي إشكالية المعيارية وقد تجلت عند هابرماس بدرجة كبيرة رغبة في تأسيس تطلع معياري (attute normative) من خلاله تصبح المعايير صيغا لانتقاء السلوكيات وتنفيذها وضبطها بغرض الحد من الاحتمالية والتعقيد اللذين يطبعان العالم المعاصر، فهابرماس يرى استحالة فرض التطبيقات أو تأويلات وحيدة على جميع أفراد المجتمع في مجتمع الحداثة الذي أصبحت الوسيلة لتقنية متحكمة في تصرفاتهم يقول هابرماس "لا تستطيع الحداثة أن تغير المعايير التي تترشد بها عصر غابر مثلما أنّها لا ترغب في ذلك في تكابد ملزمة لاستخراج معاييرها من ذاتها ولا يمكن لها أن تعتمد على نفسها ومن ثم فوظيفة التّداوليّة التواصلية هي الوصول إلى تحقيق تواصل أفضل في ظل فشل أطروحات الحداثة في تحقيقه فالمعيارية التي تتبلور صيغها في إطار العقلانية (هي الكفيلة) ولكن عن أي معيارية يتحدث هابرماس؟ إنّ هابرماس لا يتحدث عن المعيار النصي كما فعل أوستين في بعض تصنيفاته وإنّما يركز على المعيار التّداولي⁽¹⁾ فإذا كنا نستطيع اعتبار العملية

(1) مسعود صحراوي التّداوليّة النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجا مخطوط دكتوراه جامعة باتنة الجزائر 2008

التواصلية مقرونة بالحجاج فإنه يأتي من أجل التفاهم والإصلاح، لا من أجل إلغاء الآخر ومن ثم فالتفاهم الهابرماسي مقرون تبعاً لهذا، ومحصور بإرساء القواعد المعيارية التداولية⁽¹⁾ لا النصية بالتالي يحدث النشاط المنظم بواسطة المعايير التي تعبر عن اتفاق حاصل بين الأفراد المشاركين والفاعلين الذين يضعون المعنى وكيفونه بالنظر إلى السياقات ومختلف الظروف التي يريدون الكلام فيها.

إنّ هذا التركيز على المعيار اللغوي في التفاعلات الاجتماعية جاء كردة فعل على الاتجاهات ما بعد الحداثيّة التي ثارت على كلّ المعايير والقيم الاجتماعية. أمّا التقسيمات الثلاث للفعل الإنجازي فقد استفاد منها هابرماس عن طريق عكسها. وهذا ما لاحظته الباحثة علي عبود المحمداوي في كتابه الإشكالية السياسية للحادثة، يقول أولفيه كايلا في هذه النقطة: "إنّ الآثار الإيحائية (الفعل التأثيري) مثلها مثل النجاحات الأفعال الغائية بصفة عامّة حالات في العالم يجربها تدخل في العالم (الأفعال الاستراتيجية) أما النجاحات المعاني التعبيرية (قوة فعل الكلام) فيتم الحصول عليها بالمقابل عند مستوى العلاقات بين الأشخاص حيث تتفاهم أطراف المشاركة في التواصل ما شكل متبادل على شيء في العالم... علاوة على ذلك فإنّ آثار المعاني التعبيرية تصبح داخل العالم المعاش الذي تنتمي إليه الأطراف المشتركة في التواصل والذي يشكل الخلفية الأساسية لقضية تفاهمهم، ومن ثم فالتركيز يجب

(1) نبيل محمد الصغير مفهوم العلمية في ظل التجريد اللساني مجلة الثقافة تصدر عن وزارة الثقافة العدد 25 فيفري

أن ينصب على الأفعال المتضمنة في الأقوال لا على الأفعال التأثيرية التي تتشكل لدى الملتقي، والتي كثيرا ما تنزاح عن قصد المنتج فيحدث خلل في العملية التواصلية⁽¹⁾ يؤدي في الغالب إلى غياب التفاهم بين الذات المتحاور.

يقول الباحث المحمداوي في تميزه لطرحين " يجدها هابرماس في القول الإيحائي التأثيري لازم فعل الكلام⁽²⁾، ذلك البعد الذي يجب إلغاؤه لفرض تحقيق التواصل بشكل أفضل وأسلم وهكذا يبقى المعنى التعبير الناتج من الفعل التعبيري (أي قوة فعل الكلام الناتج عن فعل الكلام والخالي من كل فعل إيحائي، والذي لا يتوجه نحو غاية معينة غير الاتفاق والتفاهم لأن الفعل الإيحائي هو مصدر توتر قناة التواصل⁽³⁾ بين المتكلم والملتقي الذي يمكن أن يستند على ما يحدث الكلام من تأثير نفسي ويتناسى ما يعمل به الكلام من قوة فعل.

في الحقيقة يعود رفض هابرماس للفعل التأثيري لعدم القدرة على التعويل عليه في إقامة تواصل حقيقي في نقل المعاني بطريقة مضبوطة نسبيا كون هذا الفعل مرتبطا بطريقة كلية بالملتقي فهو الذي يسهم في فهم وتشكيل كلياته، ومن ثم قد يفهم الملتقي معنا تأثيريا ليس هو القصد الحقيقي للفعل المتضمن في القول الذي شكله المنتج ما يؤدي في غالب الأحيان إلى إفساد حالة التواصل فعلى سبيل المثال

(1) ربح إنهاء التحرير الكتاب ص 82

(2) مصدق يرغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية ط1 المركز الثقافي العربي الدار البيضاء

2005 ص 127

(3) ينظر المرجع نفسه ص 7

إنّ التواصل دعوة إلى العمل بينما قد يحتوي من منظور الفعل التأثيري إخراجاً. ومن ثم يجب أخذ الأقوال حسب هابرماس باعتبارها أفعالا مضمنة في الأقوال لا أفقا تأثيرية هذا كله " بغية صنع مجتمع كلام مثالي " يتم فيه التواصل بين الأفراد بطريقة طبيعية خالية من أي تشويش.

2- تطوير سيرل وفهم هابرماس:

يعد سيرل تلميذ أوستين⁽¹⁾ وقد حاول أن يقتضي دربه في نظرية أفعال الكلام فطورها وأعطاهها تقييما ثنائيا يختلف عن تقييم أستاذه إلى حد معين هذان التقييمان هما:

- أ- الفعل المباشر: وهو الفعل الذي يفهم من خلال الدلالة العرفية للملفوظ.
 - ب- الفعل غير المباشر: وهو الفعل الذي يفهم من خلال الدلالة غير العرفية للملفوظ.
- ومن ثم فقد جعل سيرل إنجاز الفعل الكلامي يمر عبر أربعة مراحل أساسية لا ثلاثة كما عدها أوستين⁽²⁾ في طرحه لنظرية أفعال الكلام هي:

أ- فعل القول

ب- فعل الإسناد

ت- فعل الإنشاء

(1) جون لانشو أوستن القول من حيث الفعل من حيث الفعل نظرية الأفعال الكلام تر محمد يحيا تن ط2 عالم الكتب للنشر والتوزيع تيزي وزو الجزائر 2010 ص9-14

(2) فيليب بلاشيه التداولية من أوستين إلى هوفمان تر صابر حباشة ط1 دار الحوار للنشر والتوزيع سورية 2007

ث- فعل التأثير

ففعل القول هو أن يتلفظ الإنسان بكلمات وبنى الصرفية وجعل إمّا فعل الإسناد فهو الذي يسمح بربط الصلة بين المتكلم (أ) والمتكلم (ب) أمّا الفعل الإنشائي فهو تحقيق القصد من القول وتنفيذه في حين يعرف فعل التأثير كما هو لدى أوستين أي أنّه ذلك الأثر النفسي الذي ينتج لدى الملتقي. فالملاحظ في التصنيف هو إضافة سيرل للفعل الإسنادي. وقد ارتكزت أبحاث سيرل في معظمها على سؤال مركزي هو كيف يتم المرور من الدلالة العرفية للملفوظ إلى الدلالة غير العرفية أي الاستلزامية وقد رأى أنّ الفهم الدلالة أو القصد الاستلزامي مضبوط بشرطين أساسين هما:

أ- معرفة الخلفية الفكرية والمعرفة والثقافية للمتخاطبين.

ب- المرور حوالي عشر عمليات استدلالية ومنطقية لدى الملتقي.

إنّ البحث عن مدى استفادة هابرماس من الطرح المنهجي⁽¹⁾ الدقيق الذي أتى به سيرل أمر لا مناص منه إذا أردنا أن نفهم خلفيات الطرح الهابرماسي للنظرية التداولية وكيفيات تحينها وتوظيفها في مشروعه الفلسفي ولعل أهمّ ميزة في مشروع هابرماس هو ذلك السعي من قبل سيرل إلى التمييز بين الأفعال المتضمنة في القول والأفعال التأثيرية وفي هذه النقطة بالتحديد انتبه منصوري مصطفى إلى أنّ الأفعال المتضمنة

في الأقوال قصدية ففي حالة ما إذا أنت لم تقصد أن تعطي وعدا وأن تصدر حكما إذا فأنت لم تطلق حكما إلا أنّ الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدي قصديا، بالضرورة فقد

(1) فرانسيس أرمينكو المقاربة التداولية تر سعيد علوش مركز الإنماء العربي ط2 1986

تقنع شخصا بشيء معين دون أن تقصد ذلك. وهذه النقطة بالذات نجدها منتشرة بقوة في حديث هابرماس من العلاقة التي تربط الذوات في تعاملاتها في مجال الحياة الاجتماعية والسياسية فلا يجب حسبه تأويل الأفعال المتضمنة في الأقوال بطريقة سيئة إذ قد ينتج عن عملية سيئة الأفعال تأثيرية لدى الملتقي تؤثر على سيرورة العملية التداولية (التداولية) كما لا يجب الأخذ بالأفعال التأثيرية للأسباب نفسها التي رفضها لدى أوستين.

كذلك استوعب انتباه هابرماس تقنيات تمييز سيرل بين الفعل الكلامي المباشر والفعل الكلامي غير المباشر وكيفية إقامة العمليات الاستدلالية العقلية من أجل الكشف عن طبيعة القصد المستلزم من وراء الدلالة العرفية للخطاب.

استغل هابرماس قواعد التكوينية التي تحدث عنها "سيرل" واعتبرها بمثابة القواعد المسيرة للألعاب ككرة القدم، فهذه اللغة بدون قواعد التكوينية التي تكونه من يكون لها وجود وبهذه الطريقة نفسها يتعين هابرماس بمفهوم الفعل التواصل ليؤكد ضرورة وجود أنماط معيارية تداولية تسهل عملية التواصل بين الذوات التي (أسسها) أساسا تنتمي إلى المجتمعات متعددة أو مجتمع واحد.

يصف سيرل هذه النقطة ومدى قدرته على تسهيل الفعل التواصل بين الذوات في قوله: "إذا كان تكلم اللغة يعني إنجاز أفعال طبقا للقواعد فإن تحقيق فعل إنجازي يكون راجعا إلى تلفظ جملة تتبع الاتفاق والإصلاح يختلف حسب اللغات الخاصة بينما قواعد التكوينية لأي فعل كلامي فإنها عامة⁽¹⁾ على جميع اللغات الخاصة (بينما القواعد التكوينية)

(1) مرجع نفسه ص 37

إنّ الاتفاق والإصلاح هو يعرف دلالة الجملة واحترام القواعد التكوينية هي التي تسمح بإنجاز وإتمام أي فعل إنجازي فإقامة أي تواصل اجتماعي وثقافي بين الذات من منظور هابرماس يقتضي حفاظا على هذه القواعد التكوينية والسهر على تحقيقها على المستوى العملي وعدم الاكتفاء بها نظريا.

يعتبر عبود المحمداوي "الفعل الكلامي فعلا قد يتضمن الأدلة أو الهيمنة لذلك فإن نقد هابرماس يطوله بمعية نقد الفعل الإيحائي لأوستين وذلك الغرض كشف هذا الزيف وتلك الأدلة فالهيمنة وتلخيص الفعل الكلامي منها وتجريده لإيصاله للحالة المثالية. وبذلك فهو يشطب تصنيفات أوستين وسيرل للأفعال الكلامية المتعلقة بالهيمنة ويعود إلى القصدية الثقافية وتأثيرات هادفة للفهم بغية الوصول إلى تواصل حر وصحيح"

فلا يجب أن ينحصر القصد لدى المتكلم كما فعل أوستين ولا أن يبقى تحت نبر الملتقي كما فعل سيرل وإنما يجب أن يحدث في إطار يتصف بالحرية والمساواة بين المنتج والملقي في نسبة الاستدلال ومراعاة مقتضى الحال.

3. بين الفهم الهابرماسي ومنعرج غرايس:

ارتكز بول غرايس في أعماله وأبحاثه بدرية كبيرة على إمكانية لم ينصفها المنظرون والباحثون في مجال التداولية قبله وهما القدرة على اكتساب حالات ذهنية والقدرة على تأويل الأقوال بكيفية تامة مرضية زمن بهاتين القدرتين وخصوصا القدرة الثانية فالقدرة الثانية هي القدرة على الإشتغال المنطقي مع الآخرين أثناء عملية التواصلية.

لعل أهمّ ثنائيين اشتهر بهما غرايس هما:

1. مبدأ التعاون.

2. مبدأ الالتزام التخاطبي (الحواري).

أما المبدأ الأول فالمقصود من خلاله "أن يساهم المشاركون في محادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتسير تأويل الأقوال فعلى المتكلم ألا يلفز في أقواله وعلى الملتقي أن يحسن

عملنا الاستدلالات المنطقية حتى يصل إلى القصد الهدف ولكي يتحقق مبدأ التعاون على أحسن طريقة ومنوال قدم غرايس أربع طرائق

- أ- قاعدة الكم: وهي أن تكون كمية المعلومات ملائمة ومناسبة للمقام التواصلي.
- ب- قاعدة النوع: وهي التي تعوض نزاهة القائل وصدقه فلا ينبغي أن يكذب أو يجامل وعليه كذلك أن يملك الحجج الكافية لإثبات ما يقول به.
- ت- قاعدة العلاقة (المناسبة): تفرض أن يكون حديثنا داخل الموضوع أي ذا علاقة بأقوال القائل السابقة والأقوال اللاحقة إذ لا يعقل أن يحدث التعاون في حالة ما إذا كان متكلم ج يحدث ب في موضوع السياسة فيرد عليه المتكلم (الذي كان متلقيا) بموضوع في علم الأحياء أو في الرياضة على سبيل المثال لا حصر.
- ث- قاعدة الكيف: وهي تعني أن نعبر بوضوح (السياسة فيرد عليه المتكلم الذي كان ملتقيا بموضوع في علم الأحياء أو الرياضة على سبيل المثال لا حصر) ليس قدر الإمكان وأن نقد المعلومات بطريقة منطقية طبيعية فتستحسن العبارات المباشرة على العبارات والملفوظات غير مباشرة.

أمّا المبدأ الثاني أي مبدأ الاستلزام التخاطبي/الحواري فهي طريقة محادثية (غير تواصلية) أي تدعي التزاما حواريا يتم الوصول إليه عبر عمليات استدلالية عقلية ويقدم صاحبها كتاب التداولية مثالا توضيحيا (هو جون الإنجليزي...إنه شجاع)

أمّا عن تأثير نظرية غرايس ⁽¹⁾ في أطروحة هابرماس فيرى الباحث أودينة سليمان هابرماس طور نظريته استنادا إلى مضامين أفكار التداولية الحوارية (المحادثة) لبول غرايس ولعل هذا التأثير يظهر في إصدار هابرماس على معرفة الخلفيات الفكرية للمتداولين فيما بينهم حتى يتم التواصل بكيفية سليمة، فاللغة لا تتشكل إلا من خلال التفاعل بين الذوات الخاضعة لمعرفيات وخلفيات واضحة قادرة على الاستدلال بطريقة سليمة فمن خلال الحديث بين المشاركين في التفاعل الذي يربطهم بالعالم المعين بالذوات الأخرى وبالمقاصد والرغبات والمشاعر الإنسانية يقوم كيان اللغة ومن هذا الجانب تتجلى علاقة نظرية الفعل الكلامي بنظرية الفعل التواصلية.

كذلك تظهر ملامح التشابه في الكثير من المبادئ التي سردناها مع التي قدمها هابرماس لعل أهمها هو تأكيده على ضرورة الالتزام بالعقلانية فيجب أن تكون القضية المعبر عنها لغويا في معناها التداولي خاضعة لقوانين العقل وأحكامه المنطقية فلا تفترق هذه العقلانية لديه عن اللغة التي تضمن تقدم المجتمع الإنساني كذلك نجد أن قاعدة الصدق التي تحدث عنها هابرماس والتي في مضمونها ألا نشك في الذوات التي نتحاور معها.

(1) Jurgen Havermas la science et la technique commeidiologique traduit: Jené lodmireal éttidu Gallimard.

هناك أيضا تشابه بين قاعدة الكيف لدى غرايس وبين تأكيد هابرماس ⁽¹⁾ على أهمية الفعل المتضمن في القول المباشر الصريح لأنه يفضي إلى سبب في أغلب الأحيان.

أما مبدأ الالتزام التخاطبي الخاضع أساسا لعمليات استدلالية ومنطقية فقد رأى فيه هابرماس ظاهرة جوهرية في التفاعل اللغوي ومن دون هذه القدرة التي يعول عليها الباحث منتج الخطاب ضمن غيرها من المواصفات الخطابية يصبح أي تواصل مستحيلا هذا المبدأ الذي يعول عليه الملتقي كذلك يحول عليه الملتقي في فك الشفرات الخطاب الذي يتلقاه وقد استفاد من هذه النقطة سيرل كما قلنا آنفا.

⁽¹⁾ يورغن هابرماس العلم والتقنية أيديولوجية ط1 تر حسن صقر منشورات ألمانيا 2003 ص14

الفصل الثاني : نظرية الفعل التواصل

- تمهيد
- المبحث الأول: الفعل التواصل
- المبحث الثاني: فاعلية اللغة عند هابرماس
- المبحث الثالث: العقل الأداتي والعقل التواصل.

تمهيد:

إنّ تصحيح الحداثة الغربية التي اتهمها هابرماس بالموت والفناء بسبب عدم تحقيقها للأهداف وجدت من أجلها اقتضى حسب هابرماس إحيائها ومن ثم بعثها. من جديد عبر التركيز على الجانب التواصلي داخل البنية النسقية الاجتماعية التي تميزت في ما سبق بالنزعة العيارية التشاؤمية التي تجعل من الإنسان مجرد أداة أو وسيلة تخدم المسار التكنولوجي الذي قتل ذاتية الإنسانية وبالتالي قتل التواصل الذات فيما بينها على رغم ما حققته المعلوماتية من نجاح مبهر فبعد "تراجع دور الممكنات التقليدية العادات في شدّ أواصر المجتمع المعاصر وتماسكه حولت للمعايير وظيفة الحفاظ على النسيج الاجتماعي متماسكا...بعد أن أفقد الدين والتقاليد والميتافيزيقيا سلطتها في توجيه حياة الإنسان كليا.

فما زاد من ضرورة وجوب التركيز على الجانب التواصلي في عالمنا هذا حسب هابرماس هو مشروعة تحقيق ما قال به شارل ماركوزهان الذي تنبأ أنّ هذا العالم يصبح مثل قرية صغيرة بفضل التركيز على المعلوماتية لكنّه يخلو من التواصل والفهم المتبادل بين الذات والخطاب بجميع أنواعه هذا كله بسبب العقلية الأداة التي طبعت فلسفة حداثة لذا فإنّ أهمّ مخرج من هذا كله بسبب العقلية الأداة التي طبعت فلسفة أو الخطاب أصبح أكثر من ضروري في عالمنا المعاصر وهذا أهمّ ما كان يصحح مشروع هابرماس الفلسفي الذي أراد التخليص من الناس من النزعة التشييء (Réification) التي حولتها إلى أشياء لا يمكن أن يحدث بينها تواصل طبيعي وفعل.

في حقيقة توجيه الذي يعني به الخطاب نجد أنّ هذا المستوى الخطابى التّداوليّ حين بطريقة علمية عند هابرماس وهو في أساس تأثر بلوفغ "فينيجنشتين" الذي دعا الفلسفة لأن تكف عن الاهتمام بالمضامين الفلسفية النظرية بل عليها أن تهتم باللغة لتعالج بها قضاياها أي تتخلل عن بناء الصروح الفكرية الضخمة والبناءات الفلسفة المغلقة وأن تقوم بتحليل القضايا اللّغويّة وبذلك تحليل بنية الفكر المحمول في قوالب لغوية شكلية.

ومن ثم أخذ هابرماس على عاتقه إعادة بناء العالم رمزيا لكن مقرونا بإنتاجه المادي ومؤسسا للتفاهم الذواتي الذي يقوم على مبدأ المحاجة العادلة وهنا بالتحديد يمكن الاتجاه التحرري الذي يطبع فلسفة التواصل الهرماتية بنقص التّداوليّ والنقدي في الوقت نفسه فهي فلسفة تهتم بضرورة (أساس) بصورة العقل ضمن الخطابات التي تحمله وبالتالي فضبط الخطاب يحمي الذوات من العنف أمّا البعد التّداوليّ فيظهر جليا في النشاط التواصلي بين البشر إذ هو ليس مجرد فعل تتوجه معزولة ولكن مناقشة وحوار بين ذوات فاعلين وذوات فاعلة مختلفة.

يصف الزواوي بضرورة نظرية هابرماس في اللّغة نظرية الفعل التواصلي بمثابة منطق جديد للعلوم الاجتماعية بإستاده إلى منجزات فلسفة اللّغة، ذلك يرى أنّ اللّغة تمكننا من إحداث قطيعة مع الأطروحات التقليدية في العلوم الاجتماعية المتعلقة بالوعي والفعل وممارسته

وهذا ما أكّده هابرماس تحديداً في حديثه عن نظرية الفعل التواصلي التي جاءت

لتحدث تحولاً كبيراً بمثابة الثورة.

نظرية الفعل التواصلي:

في تناولنا للعقلانية التواصلية عند هابرماس نؤكد أنه انطلق من مفهوم جديد للعقلانية وذلك من خلال إدانته للعقل الأدائي فقد جاءت دعوته للتأكيد على أهمية العقل باعتباره المنطلق الأساسي لأي نظرية في المجتمع فقد حاول استكمال المفهوم الأدائي بإدخال البعد التواصلي في مفهوم العقلانية.

يحدد هابرماس العقلانية بأنها الاستعداد الذي تبرهن عليه ذوات قادرة على الكلام والعمل على إكساب وتطبيق معرفة قابلة للخطأ أراد وضع العقل في إطار أشمل وأكبر فكان عليه إدخال البعد التواصلي في مفهومه الجديد عن العقلانية والبعد يتحقق التفاعل بين الناس من خلال التواصل اللغوي. (1)

يهدف هابرماس من خلال العقلانية التواصلية إلى وضع نظرية نقدية للمجتمع تقوم على أسس عقلانية فيقول هابرماس: "أريد أن أوضح أنه من الممكن تطوير نظرية الحداثة باستخدام نظرية التواصلية تملك الدقة التحليلية التي تحتاجها الظاهرة الاجتماعية المرضية التي يسميها الماركسيون بالتشيؤ" (2)

(1) Habermas Tue Thedy of communicative Action v1 p172

(2) يورغن هابرماس أخلاق التواصل تر أبو نور حمدي التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان 2012 ص43

وهكذا لا يكون إلا بإعادة توظيف دور الفلسفة وتحديد دورها في المجتمع فإنّ مفهوم العقل التواصلي متأصل في ممارسته اللّغويّة والموجهة للتفاهم يتطلب من الفلسفة أن تأخذ على عاتقها من جديد إنجاز مهام نسقية، وهنا يمكن للعلوم الاجتماعية الدخول في علاقة تعاونية مع الفلسفة التي تقوم بمهمة العمل على تأسيس نظرية عقلانية⁽¹⁾

نستطيع أن نقول أنّ العقل التواصلي هو منظم النشاط التواصلي سعيا وراء وضع شروط حقيقية لمجتمع ممكن وهابرماس عند نقد العقل الغربي لا يلتقي إجرائيا مع النقد الذي دشنه نيشه وهایدغر ودريدا لأنّ هذا النقد ما زال أسير فلسفة الذات وإنما يريد هابرماس كما يقول "عقل تواصلي يتجاوز الذات ليكون نسيجا من الذات المتواصلة التي تتجاوز ذاتيتها"⁽²⁾

المبحث الأول: الفعل التواصلي

١. معنى التواصل عند هابرماس:

ومن هنا فإنّ مفهوم الفعل التواصلي⁽³⁾ يمثل إسهاما أصيلا ومخالفا في الوقت ذاته، وهذا يعود بالأساس إلى أنّه كسر "تابو" التأويل المسيحي سواء من طرف هابرماس أو من طرف فلاسفة مدرسة فرانكفورت الآخرين وقد كان لأدورنو تأثيرا واضحا في تشكيل الأفق النظري (كتاب هابرماس) "نظرية الفعل التواصلي" وخاصة فيما يتعلق بموقفه من

(1) يورغن هابرماس إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة تر فتقديم عمر مهيبيل دار العربية للعلوم الناشر والمنشورات الاختلاف الجزائر دط دس

(2) يورغن هابرماس ما بعد ماركس تر محمد ميلاد دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا ط1 2002

(3) Havermas: Antonomy & Solidarity p108.

مسألة التأويل المتداخل بين الذوات وإذا كانت النظرية النقدية لم تنجح بالقدر المنتظر في تنمية مفهوم خاص بالعقل التواصلي فإنّ ذلك قد يرجع بنسبة كبيرة إلى نفوذ الذي مارسه "العقلانية الأداتية" على فكر هوكهايمر وأدورنو وهي عقلانية التي بقيت أسيرة فلسفة الشعور والوعي التي كانت علامة مميزة لفكرة الأزمة الحديثة فإنّ فلسفة الشعور تركز في تأسيسها النظري إلى ثنائية الذات والموضوع وتتصور أي تفاعل عقلاني انطلاقاً من الفعل الذي يمارسه الإنسان على الطبيعة حيث يقوم الشعور والمنعزل بشيء العالم الذي يقع ضمن دائرة معينة.⁽¹⁾

يسعى هابرماس إلى اقتراح عناصر نقدية للمجتمع ولذلك فإنّ محاكمته للعقل الغربي في نظريته للحدث والعقلانية وإدخاله نظرية التواصل يهدف من ورائها وضع قواعد لنظرية الفلسفة والاجتماعية وسياسية تمكن من التفكير في الظواهر السيئة للمجتمع الغربي.

قسم هابرماس العقل إلى نوعين من خلال النشاط العقلي الذي يقوم به هذا العقل هذين نوعين هما:

1. نشاط عقلي معرفي أداتي وهو نشاط مرتبط بغاية لأنه يحقق منفعة وهذا النوع يستخدمه الإنسان لمعرفة البيئة المحيطة به.

2. النشاط العقلي التواصلي وممارسة ذات قادرة على الكلام والفعل وهذا النشاط التواصلي هدفه التوجه نحو التفاهم بين الذوات.

⁽¹⁾ عطيات سعود الحصاد الفلسفي القرن العشرين مكتبة الإسكندرية منشأة المعارف جلال عزي وشركائه مصر دط دس

فيؤكد هابرماس أنّ النشاط العقلي له منظورين إحداهما أدائي والآخر تواصلي⁽¹⁾

- مكونات العالم المعاش:

في حديث عن نظرية الفعل التواصلي والعقل التواصلي عند هابرماس لا بد من أن نتطرق إلى مفهوم العالم المعاش الذي يشكل عملية التفاهم بين الذات الذي اهتم به هابرماس لذلك فقد ركز عليه وخصصت له جزء من كتابه "نظرية الفعل التواصلي اعتمادا على أنّ نظريته للمجتمع لا يمكن أن تقتصر على نظرية الفعل التواصلي دون أن تستمد شرعيتها من العالم المعاش ويؤكد هابرماس أنّ هذا العالم "عرضة للتغيير من خلال تحول بنية المجتمع ككل".

فكرة العالم المعاش ليست ابتكارا هابرماس ولكن لها جذورة الفكر الفلسفي الأوروبي فهي تستمد إلى هورسل وميولوبوتي ولكن هابرماس يعيب عليهما أنّه لم يكن لهما هدف منهجي لديهما فيقول هابرماس "إذا طرحنا جانبا المشاكل الفلسفية للوعي التي تعامل بها هورسل مع مشكلة العالم المعاش فيمكن أن تفكر في هذا العالم.

كما يمثل في مجموعة من النماذج التغييرية نقلت عن طريق الثقافة الموروثة ونظمت من خلال اللغة ولا تحتاج أن تفسر هذا كله في إطار الفلسفة ولا في إطار سيكولوجية الإدراك.⁽²⁾

وكانت نتيجة لذلك أنّ هابرماس حاول البحث في بناء معاش بحثا تداوليا شكليا.

(1) عمر مهيبل " إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة" ص 366-397.

(2) يوغرن هابرماس العلم والتقنية كإيديولوجيا تر حسن صقر منشورات الجل ألمانيا ط1 2002.

وعندما قدم فكرة العالم المعاش قدمها باعتبارها مكملة لمفهوم العقل التواصلي

لأنّها مرتبطة أيضا بمفهوم المجتمع باعتبارها أنّها تشكل سياق الفعل الاجتماعي.

وحاول هابرماس البحث عن الوظائف التي يقوم بها العقل التواصلي لإقامة عالم متنوع

الأبنية وتم ذلك من خلال العالم المعاش وحيث يمكن الاستناد إلى هذه الوظائف لتوضيح

الشروط الضرورية لعقلنة العالم المعاش ويؤدي هذا إلى آخر حدود البحوث النظرية التي

"توحد بين المجتمع والعالم المعاش" (1)

iii. مبادئ الفعل التواصلي:

نظرا لكلّ ما تحدثنا عنه إلزاما على هابرماس أن يصيغ المبادئ والآليات التي

تشغل وفقا لنظرية الفعل التواصلي وقد حصرها فيما يلي:

1. لا ضغط ولا إكراه على الآخر متلقي.
2. لا يجوز تقييم مختلف الآراء والأفكار.
3. عدم التعرض لمصادقة الآخر.
4. الحوار هو المحدد لصحة ومصادقية القضايا.
5. إشغال المنظور التداولي ومراعاة قواعد المعقولة والصدق والدقة والمحااجة النائية عن كلّ قهر وسلطة زائفة.

يمكن أن نقدم الخصائص العامة للعملية التواصلية الخاضعة لمبادئ التّداوليّة

الموصلة إلى توافق وإجماع بين الذات فيما يأتي:

(1) يوغرن هابرماس مقدمة قصيرة تر أحمد الدوبي مرضياء مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط 12 2015.

1. وجود العلاقة التفاعلية بين الفردين أو أكثر من خلال سياق العالم المعاش فمن حق

كلّ شخص ملك خاصية اللّغة يشارك ضمن النشاط التواصلي.

2. وجود اللّغة الحاملة ورافدة لتطلعات الذوات.

3. هدف التواصل هو الوصول إلى اتفاق وليس مجرد إقامة تواصل.

4. فتح مجال الحوار بكل ديمقراطية.

5. وجود الظروف التي تضمن الإجماع.

6. التحرر من كلّ أشكال الضغط والقهر الخارجي.

نتيجة لكلّ المرجعيات التي قدمها هابرماس للطرح الأوستيني والسيرلي كان

المحتم على هابرماس أن يقدم تصنيفا جديدا للفعل التواصلي من أجل تشكيل منهج ونظرية

في السياسة الاجتماعية وعلم الاجتماع السياسي تقوم أساسا على ضمان تحقق السلامة

العلاقة الموجودة بين الفاعل والعالم، فالعلاقة التي تحكم الفاعل والعلم هي علاقة التواصلية

البناءة المؤطرة بين الذوات لذلك يفهم هابرماس الفعل التواصلي على أنّه علاوة على كونه

تفاعل بناء بين فضائين هو تحقيق لمشروع علمي مؤسس على تأويل معين للوضعية.

إذ يتحقق ذلك بتحكم الفاعل في وضعية معينة ووضعية الفاعل شكل جزءا من

المحيط الفاعل وهو جزءا يتكون في ضوء إمكانيات الفعل ذات الدلالة بالنسبة للمشروع

العلمي والمدرجة كذلك من قبل الفاعل، نخلص من هذا القول أنّ الظروف الفعل وقواعده

تؤثر في الفاعل وتتحكم في درجات نجاحه وفشله في تحقيقه الهدف التواصلي.

يقسم هابرماس الفعل التواصلي إلى أربع أفعال أساسية تتحكم في تسيير النظريات

الفلسفات الاجتماعية:

I. الفعل الغائي/المنفعي/البرغماتي: حين يقوم الفاعل من خلاله باختيار مجموعة من

الوسائل والأدوات التي تضمن له النجاح بغرض تحقيق مهمة أو غاية مخصوصة،

ومن ثم يؤكد هابرماس على أنّ الفعل الغائي يتحول إلى فعل استراتيجي عندما يأخذ

الفاعل بين الاعتبار علاقات وقرارات الفاعلين الآخرين في قدرتهم التقييمية تجاهه.

II. الفعل المعياري: يربط هذا الفعل ويستند أساسا على الأعضاء الاجتماعيين الذين

يسيرون تصرفات وتوجهات الفاعل وفق ما يعرضونه من نظم وقوانين وقواعد ناتجة

أساسا على اتفاق الحاصل بين أفراد جماعة ما على تحقيق تلك المعايير والحرص

على الأشغال وفقها بطريقة تامة.

III. الفعل المسرحي: يرى سليم أودينة أنّ هذا الفعل لا يتعلق بطريقة مباشرة بالفرد

الفاعل ولا بأعضاء الاجتماعيين وإنما بالمشاركين في عملية التفاعل التواصلي ويعد

هابرماس توضيحا عن طبيعة العلاقة في كون الفاعل يكشف عن ذاته عندما يحتك

بالجمهور وبإمكانه مراقبة الذين ينفذون إلى عاملة الخاص (الذاتي) حيث يشكل

التفاعل مجالا للكشف عن الذوات بمثابة مسرح يحين للجمهور عبر الوصول إلى

ذوات الفاعلين أي متجاورين.

II. العقل التواصلي:

يرتبط تفاعل شخصين قادرين على الكلام عبر ملكتهما اللغوية في هذه الحالة إنّ الفعل لا ينحصر في مستوى الاستراتيجي النفعي المرتبط بالمحاور الذاتية للفاعل مع نفسه فواجب عليه أن يعيد إنتاج الفعل داخله وأن يوجه إلى ذاته نفس الملاحظات التي قد توجه إليه من قبل الذات الأخرى فهذا الفعل في حقيقة تداخل بين الذوات عبر تواصل لغوي.

إنّ صلاحية ونجاح الفعل التواصلي يعني توفر أربع معايير أساسية هي:

I. المعقولية العقلانية/العقلانية: وهي أنّ اللغة المعبر عنها لغويا تكون في معناها

التداولي خاضعة للقوانين وأحكامه العامة. (1)

II. الحقيقة: هي أن يتم الإقرار والاعتراف بحقيقة الملفوظة الناتج عن أفعال الكلام المتحدثين.

III. الدقة المعيارية: وهي أن نعترف بدقة المعيار أثناء استخدام العلامات في شكل

ملفوظات متفق حولها ضمن سياق معياري مصطلح عليه بواسطة فعل الكلام.

IV. الصدق: يجب ألا نشك في صدق الذوات المشاركة في التفاعل.

إنّ هدف هابرماس من كلّ هذا هو تقديم نموذج أخلاقي للتواصل الحجاجي

السليم الذي يحدث أساسا من خلال تواصل سليم فتقديم حجج وجلب معايير أخلاقية تجعل

(1) يوغرن هابرماس الفلسفة الألمانية ومسألة الحقيقة تر (فتقديم) نظير جاهل الناشر المركزي الثقافي العربي بيروت

ط 1 1995.

أفكارنا تقبل في منافذ مهمة أي تكون هذه المعايير مهمة لكلّ الناس فالحجج مقدمة نحو الآخرين عن طريق البراهين للاتفاق معا على هذه الإدعاءات وقد حاول هابرماس الإعلان على شأن الحجاج ولا سيما القائم على أسلوب التأثير المتبادل بالحجة والحجة المضادة والذي يتأسس لدى هابرماس على معايير قبلية ولغوية وتداولية في نوعها وطبيعتها وهي حسب الحمداوي تكمن في إتيقا المناقشة والحجاج.

إنّ طبيعة اللّغة التي تنشط من خلالها العملية التواصلية والحجاجية هي اليومية العادية بالدرجة الأولى هذه اللّغة التي يعرفها بكونها تشكل نسقا من القواعد تساعد على توليد تعبيرات لدرجة أنّ كلّ تعبير مصاغ بشكل صحيح يعتبر عنصر من عناصر اللّغة ومن ثم إنّ الذوات التي تقدر على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عملية التواصل لأنّها تستطيع التعبير والفهم المجمل والجواب عنها، بسبب طبيعة اللّغة اليومية ونثريتها وقدرتها على عمل عمليات استدلالية ومنطقية أكبر ممّا تحمل اللّغة الأدبية على سبيل المثال.

الفعل التواصلي هو مفهوم صاغه هابرماس لمحاولة تنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل، ولذلك يطلق على مفهوم العقل عند هابرماس "الفعل التواصلي" وهذا العقل لديه هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات والعقل الشمولي المغلق الذي يدعي أنّه يتضمن كلّ شيء، والعقل الأدائي الوضعي الذي يفتت ويجزئ الواقع ويحول كلّ شيء إلى موضوع جزئي العقل نفسه.

ففي كتابه "نظرية الفعل التواصلي" الذي يشكل بوجه من الوجوه إسهاما فيما يسميه "نظرية التواصل" يعيد طرح إشكالية العقلانية الحديثة بإسقاطاتها المتعددة.

ملف الحادثة عند هابرماس يبدأ انطلاقاً من تحديدات ماكس فيبر التي تتلخص عنده في الانتقال الواعي المستمر من الفكر الخرافي أو الانطوائي إلى اللوغوس حيث تسود التغيرات العقلانية والعلمية للعالم وظواهره عوض التغيرات الخارقة أو المفارقة التي تكون مهيمنة في المرحلة الأولى.⁽¹⁾

على مسار القضية سابق الذكر يتميز هو أيضاً بالتعقيد والغنى والتنوع وأحياناً المخاطرة والضبابية فمن تبديد الأوهام الدينية إلى التعليق في عالم العلوم والتقنية العجيب مروراً بتتبع النمو المتزايد للقانون الوضعي للأخلاق الفنون المختلفة سعى ماكس فيبر من خلال هذا المسار إلى العمل على نشر عقلانية غائبة وتعميمها وهي العقلانية التي أطلق عليها هوركهايمر فيما بعد اسم "العقلانية الأدائية" وهو يتحدد بها. مجموعة الوسائل والقواعد التقنية الكفيلة بتحقيق غاية معينة كان قد تعلق وبذل جهوداً مفرغة لتحقيقها

وإذا كانت النظرية النقدية لدى رواد مدرسة فرانكفورت لم تنجح في تطوير مفهوم العقل التواصلي فهذا يعود كما يعتقد هابرماس إلى دور العقلية الأدائية. المستمر في فكر أدورنو وهوركهايمر نتيجة الشكوك والمخاوف التي سيطرت عليهما بسبب الفضاء التي تمت أثناء الحرب العالمية الثانية والتاريخ القريب.⁽²⁾

⁽¹⁾ يوغرن هابرماس ما بعد ماركس تر محمد ميلاد دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا ط1 2002.

⁽²⁾ عمر مهبيل "إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة" المغرب (المركز الثقافي العربي) طبعة أولى 2005

يتدخل هابرماس ويطور مفهوم جديد للعقل مفهوم أكثر كفاءة وقوة وحدثة العقل التواصلي فهذا العقل يرتبط بالحدثة ويستفيد من معطيات العقل النقدي ويتجاوز كما أشرنا عيوب العقل الأدائي وي طرح نفسه بديلا للممارسات العقلية الإجرائية.

إنّ مفهوم العقل عند هابرماس يسقط حسابه أية مسألة جوهرية وبتعبير آخر أن العقل عنده لم يعد جوهرًا سواء كان هذا الجوهر موضوعيًا أو ذاتيًا بل صار محمولًا به نتيجة لتأثيرات المدرسة التحليلية عليه رأى أنّه يكون من الحكمة البحث فيها هو عقلاني عوضًا عن البحث في مفهوم العقل وعليه ينتقل الاهتمام المركزي إلى العقلانية بدل التركيز على العقل في شكله المجرد.⁽¹⁾

وعندما يطرح هابرماس هذا العقل التواصلي لا يريد الامتثال للعقول التي تدعي تقديم حلول فورية للإشكاليات مركبة في البيئة الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية أنّه يريد لهذا العقل أن يكون متواصلًا مع غيره.

يؤكد هابرماس على "أنّ هذا العقل يتجاوز العقلانية الغربية التي أعطت أولية مطلقة للعقل الغائي والتي تهدف إلى تحقيق مصالح وغايات معينة، فهذا العقل بني على فعل خلاف يقوم على الاتفاق بعيدًا عن الضغط والتعسف وهدفه بلورة الإجماع يعبر عن المساواة داخل الفضاء عام ينزع فيه الفرد جانبًا من ذاتيته ويدمجها في الجهود الجماعي الذي يقوم بالتفاهم والتواصل العقلي"

قد سلك هابرماس طريقًا مباشرًا أو طريق واضحًا في صياغته لهذا العقل التواصلي.

⁽¹⁾ Horkheimer: The Eclipse of Reason p13

فقد أقدم على وضع العقل داخل إطار اللّغة بصفة عامّة وفي إطار التواصل بصفة خاصّة، فمسيرة هابرماس الفكرية كما يوضح أنتوني جيندير توضح التراكم النظري في أعماله نحو أفق تحرري وكان منشغلا بالعقل التواصلي. (1)

ويمكننا (بالعقل) أن نقول أنّ هابرماس من خلال أعماله وكتاباتاته يريد أن يؤكد على ما يسميه بالعقل التواصلي كصيغة تركيبية لقضية الحداثة الغربية والعقلانية سواء في تعبيرها الأنواري أو مظاهرها النقدية فالعقل التواصلي هو الذي ينظم النشاط الاتصالي ويبين أنّ الحديث عن هذا العقل يلزم الحديث عن الأسس التي يترتب عليها هذا العقل فالنشاط الاتصالي يسعى إلى وضع شروط لمجتمع ممكن ولذلك بدأ كما يخبرنا بتوجه السهام النقد العقل الغربي المتمركز حول الذات والانتقال منه إلى عقل آخر هو العقل التواصلي ولذلك يؤكد هابرماس "على ضرورة الخروج من فلسفة الذات من خلال مخرج مهم يسميه العقل التواصلي"

يظهر هابرماس كيفية تحويل مجالات البحث من العقلانية الأداة إلى العقلانية التواصلية فهذه العقلانية التواصلية "تظهر من خلال العلاقة التي يقيمها الناس القادرون على الكلام وعلى فاعلية عندها يتفقون على شيء معين"

وبهذا يحاول هابرماس جاهدا الانتقال من العقل الأداة الظاهر بوضوح في مركزية الغربية إلى عقل آخر وهو العقل التواصلي.

(1) مرجع سابق ص 361

فيؤكد هابرماس في كتابه الخطاب الفلسفي للحدثا على أنّ العقلانية التواصلية تقاس بالقدرة التي يحوزها الأشخاص المسؤولون والمشاركون في التفاعل ما على التوجه بالقياس إلى ادعاءات الصلاحية التي تستند إلى اعتراف ذاتي فهذا العقل يضع مقاييس العقلنة⁽¹⁾

III. شروط تحقيق التجربة التواصلية:

نحاول هنا توضيح العوامل المؤثرات الفكرية التي جعلت هابرماس ينادي بهذه الفكرة وهي فكرة العقل التواصلي فمن أهم المؤشرات الفكرية التي أثرت على فكر هابرماس في هذا المعنى قراءته "جدل التنوير لهوكهايمر وأدورنو فقد عبر هذا الكتاب عن الانتكاسة التي أصابت التنوير والنكوص الذي أصاب العقل عندما تم توظيفه كأداة لخدمة الإنتاج الصناعي في المجتمعات الصناعية وترتب على ذلك ظهور عقل الأدائي وقد قام هابرماس بنقد العقل وطرحه جانبا وأحل محله العقل التواصلي وأخذ عاتقه وضع نظرية جديدة تتمثل في العقل التواصلي ليكون بديلا عن فلسفة التي عولت عليها النظرية النقدية المبكرة والتي لم يعد الدفاع عنها ممكنا لذلك جمع هابرماس بين الهيرومنوطقيا وفلسفة اللغة⁽²⁾

إنّ مفهوم العقل التواصلي يمثل حالة افتراضية أكثر ممّا يمثل وثقا بذاته وحتى لو أخذنا بعين الاعتبار ما في هذا النموذج من تجلي واقعي فإنّ ذلك لا يشكل سندا كافيا لتناول ممّا افترضناه في البداية فالعقل يمثل دائما ذلك الأتي وتلك المهام التي لم تتجز بعد لهذا السبب بالذات نجد أنّ هابرماس يتحدث عن العقل بوصفه إنجازا قائما بقدر ما يتحدث

⁽¹⁾ يوغرن هابرماس الفلسفة الألمانية ومسألة الحقيقة تر (فتقديم) نظير جاهل الناشر المركزي الثقافي العربي بيروت

ط 1995، ص 51.

⁽²⁾ Habermas The Theory of Communicative Action v2 p395

عن مخزون من العقلانية أو العقلانية الكامنة وينتج عن هذا نتيجتان أساسيتان الأولى وتتمثل في مفهوم العقل التواصلي الذي يسمح بالإبقاء على مخزون من العقلانية تمثل الحداثة وعدة المستقبلي وذلك بإسباغ نوع من الموضوعية عليه أمّا النتيجة الثانية فمن أهمّ ميزاتها أنّها تمهد الطريق لإعادة كتابة النظرية النقدية للمجتمع كما كان قد تصورهما هوركهايمر وأدورنو اللذان اعتقدا أنّهما مارسا تشهيراً كافياً بالعقل أمام تصاعد النزعة اللاإنسانية والبربرية في ألمانيا في العشرينات ومطلع الثلاثينيات من هذا القرن، فقد لاحظ أنّ العقلانية الحديثة لا تتجلى إلا في شكلها الأدائي المشوه فإذا اعتمدنا طريقة الإرجاع أي إرجاع الشيء من الأشياء إلى قيمته التبادلية والأشياء تتحدد قيمتها بالتبادل فإننا نلاحظ أن مسار العقلنة الرأسمالي يطعن بعجلته كلّ من يحاول الصعود أمام سعيه الدؤوب لتحايد جميع أنماط الحياة في تجلياتها المختلفة وقولبتها في مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة التي تمثل الستالينية والنازية ووجهها فظاعة نجد أن هوركهايمر وأدورنو وابتداء من الأربعينيات لجأ لانتقاد العقلانية الغربية والدعوى إلى مجاوزتها.⁽¹⁾

وكان من أهمّ المكونات الأساسية لمشروع هابرماس التواصلي علم الاجتماع وارتباطه بمشكلات العقلانية ومن هنا كان اهتمامه بعلماء الاجتماع أمثال ماكس فيبر ودوركايم، فقام هابرماس بالتأليف بين النزعة الوظيفية عند بارسونز وبين النظرية العقلانية

(1) يوغرن هابرماس المعرفة والمصلحة تر حسن صقر منشورات الجمل ألمانيا ط1 2001، ص54.

(.) ماكس هوركهايمز: عالم اجتماع ألماني اشتهر بمجهوداته النقدية ساهم في تغيير سياسته من الاهتمام بالقضايا العمالية إلى نظرية النقدية الاجتماعية هو عضو في مدرسة فرانكفورت فلسفة الأبحاث الاجتماعية.

عند فيبر معتمداً على التحليل ماركسي لذلك يمكن لنا أن نقول أن نظرية العقلانية عند فيبر تعد مرجعاً أساسياً لمشروع هابرماس⁽¹⁾ في محاولة إعادة البناء العقلانية الاجتماعية" يقول هابرماس في كتابه "نظرية العقل التواصلي" إنَّ فيبر ينظر إلى مفهوم العقلانية العلمية من ثلاث جهات هي استخدام الوسائل وضع الغايات والتوجه نحو القيم فتقاس العقلانية الأدوات لفعل والتخطيط الفعال لتطبيق الوسائل في سبيل الوصول إلى أهداف معينة وتقاس عقلانية اختيار الفعل بالتقدير الصحيح للغاية والأهداف وتقاس العقلانية المعيارية للفعل بالقدرة على التوحيد والتنظيم المنهجي إلى الأفعال التي تحقق شروط عقلانية الوسائل والاختبار اسم العقلانية الغائية وأطلق عليها اسم "عقلنة القيم" أي أنَّ فيبر قسم النشاط العقلي إلى ثلاث مجالات هي "مجال الواقعية الموضوعية العلمية. مجال المعايير والمشروعة أو المشروعة الأخلاقية. مجال القيم والدلالات الرمزية والمعايير الجمالية"⁽²⁾

وقد فصل فيبر بين المجالات الثلاثة

حاول هابرماس إعادة النظر في هذه المجالات الثلاثة من أجل وضع نظرية عقلانية للمجتمع وبذلك دمج هذه المجالات "العلم الأخلاق، الفنّ التي فصلها فيبر عن بعضها

⁽¹⁾ Havermas: Theory of Commuicative Action v2 p397

⁽²⁾ إشكالية التواصل في الفلسفة التربوية المعاصرة دار العلوم بيروت ط1 2005

البعض وهذه المجالات الثلاثة يدمجها هابرماس لكي تتعاون" وذلك لإحداث نوع من الاستقرار مما يجعل النجاح في مستوى أي منهما يرتبط بالنجاح في المستويين الآخرين⁽¹⁾ عندما يحاول هابرماس إعادة صياغة العقلانية فإنه يحلل النشاط العقلي في كل أبعاده وهنا جاء هابرماس ليؤكد على النشاط التواصلي.

⁽¹⁾ تيدور أدورنو فيلسوف عالم اجتماع عالم النفس اشتهر بالنظرية النقدية كان عضوا في مدرسة فرانكفورت يعتبر أحد مفكري القرن العشرين.

المبحث الثاني: فاعلية اللّغة عند هابرماس

نشير في بداية هذه الفترة إلى الاهتمام المتزايد الذي أولاه الفلاسفة المعاصرون للغة، ليس فقط التحليليين الإنجليز من فلاسفة اللّغة (1) في أكسفورد كمبردج بل أيضا في التيارات الفلسفية المختلفة خاصّة لدى فلاسفة الوجودية والهيرمنوطيقا هيدغر وجادمار ويكون الذين دخل معهم هابرماس في نقاش حول العديد من القضايا حيث نجد أنّ اللّغة دورا رئيسيا في الفلسفة (2) ولها دور مهم خاصّة في الفلسفة المعاصرة فهي الشرط الأساسي لكلّ شيء يمكن أن يوجه إليه الفهم نفسه بوجه عام. وهذا يفتح أعيننا كما يؤكد جادمار على الفهم الأنطولوجي للغة، فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوما هو اللّغة.

تعد نظرية هابرماس في اللّغة معروفة باسم الفعل التواصلي بمثابة منطق جديد للعلوم الاجتماعية، منطق يستند إلى منجزات فلسفة اللّغة ذلك لأنّ هابرماس يرى أنّ اللّغة تمكننا من إحداث قطيعة مع الأطروحات التقليدية في العلوم الاجتماعية المتعلقة بالوعي والفعل والممارسة. (3)

يرى هابرماس أنّه من الضروري تحويل علم الاجتماع إلى فرع من فروع علوم الاتصال وهو يجب أن يقوم على الفعل التواصلي فهو لا ينكر العوامل الاجتماعية التي تدخل أو تساهم أو تؤثر في النشاط الاجتماعي والإنساني كالأفعال الأدائية التي تحدثها

(1) محمد نور الدين آفاية الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ط2 (بيروت. دس)

(2) عادل مصطفى فهم مدخل إلى هيرومنطقيا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير ط1 النهضة العربية بيروت دن

ص204

(3) الزواوي بخورة "الفلسفة واللغة" بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر طبعة أولى 2005، ص209

التقنية. إلا أنه يرى أن الفعل التواصلي يتميز بطابعه المحدد للعلاقات التواصلية التي لا يمكن بأي حال من الأحوال ردها أو اختزالها إلى مجرد تبادل للمعلومات المعطيات بواسطة اللغة⁽¹⁾ يرى الزواوي بقورة أن الفعل التواصلي عند هابرماس لا يقوم على تبادل المعلومات ضمن سياق أو ظروف اجتماعية معينة، وإنما يقوم بفعل التأويل لما يحدث ويستطيع بلورة القواعد. والآليات التي تسمح بالعيش الجماعي أو قيام لحياة اجتماعية ولذا فإن الفعل التواصلي يساهم في بناء العالم الاجتماعي المعيش.⁽²⁾

1. اللغة وسيلة للتواصل:

فالألغة تلعب دورا رئيسيا وكبيرا في عملية هرمونطقيا جادمر فاللغة بالنسبة له ليس مجرد نظام لغوي يخضع لبعض القواعد ولكنها في الأساس حوار وعلاقة بالآخر والغيرية ويبقى الحوار بالنسبة له علاقة ضرورية لا غنى عنها للتغلب على الخلافات وإرسال مبدأ الفهم كاشتراك ومشاركة، فكل حوار حقيقي يقتضي أن ننحني أمام الآخر وأن نولي وجهة نظره الأهمية الواجبة وأن نتخذ إلى عقله، ليس بهدف فهم الشخص وإنما بهدف فهم ما يقوله وعلينا أن ندرك مدى صلاحية وجهة نظره حتى يكون بيننا تفاهم حول مسألة المثارة.

(3)

(1) المرجع السابق ص 209-210

(2) المرجع السابق ص 210

(3) محمد شوقي الزين "عالمية هيرمينوطقيا جادمر" تر كاميليا صبحي (مجلة الفصول) القاهرة عدد 59 2002 ص 158-159

وعالمية هيرمنطقيا جادامر لا دخل لها بينية اللّغة حيث كونها عبارة منطقية وأنية نحوية ولكنها تقوم على بعدها التّداولي والتواصلي وأكد جادامر أنّ الكائن الوحيد الذي يمكن أن يفهم هو اللّغة.

إنّ التواصل كما صور هابرماس ينظر إلى اللّغة في بعدها البرغماتي فهو يعني اللّغة وهي منغمسة في تيار الإنتاج والإبداع لكن ما هي حقيقة هذا الإنتاج ومضمونه ؟ يجيب هابرماس بصرامة واختصار إنه التفاهم أو "الوفاق" وهو في هذه المسائل كما يقول على اتفاق تام مع "فيتجنشتاين" الذي يرى أنّ مفاهيمه عن اللّغة والتفاهم مفاهيم أصلية تعبر عن الحقيقة الجهد الذي بذله في هذا المجال فأغلب فلاسفة اللّغة يرون في هذا الاندماج ومن اللّغة والتفاهم اختزالا للظاهرة اللّغويّة المعاصرة والحل أنّه يمكننا الاعتراض على هابرماس فيما يخص موقفه من اللّغة وثقته المتزايدة فيها فهي قد لا تعني دائما التفاهم على اعتبار أنّها قد توظف لغايات التلاعب والخداع فقد ندعي أنّ هدفنا هو بلوغ التفاهم بينما نتصرف عكس ذلك تماما أكثر من ذلك فإنّ الفعل ليس تواصليا بالضرورة فقد أتصرف أيضا وفق ما تمليه علي مصطلحاتي الخاصة الضيقة دونما اكتراث بالآخرين أو بأي تفاهم تواصلي معهم لذا فإننا نجد أنّ هابرماس مدرك تمام الإدراك لهذه الإشكالية بل أطلق اسم الفعل الإستراتيجي الذي يتجه به إلى هدف لا يتعلق إطلاقا بالتفاهم "البين ذاتي" حتى أنّ هابرماس يعرف الفعل التواصلي انطلاقا من تعارضه مع الفعل الاستراتيجي بيد أنّ المعنى الذي يستقر عليه هابرماس في النهاية المعنى واسع لكلّ المقاييس معنى يرى أنّ الفعل الاستراتيجي هو ذلك السلوك الذي نسلكه لكي نصل إلى غايتنا المحددة في تصوراتنا

سلفا فقليل من الواقعية وحد أدنى من التجربة المتعلقة بالإنسان يمكنهما تحفيزنا على التفكير في أنه ما من نشاط أو فعل يهدف إلى تحقيق غاية ما فلا بد وأن يتضمن حصرا بعدا استراتيجيا واضحا فحتى أكثر المبادئ توغلا في عالم الفضيلة لا تستطيع إخفاء توجيهاتها أو ميولها المنفية. (1)

ويعد الجدل أساس الحوار والمقصود جدلية السؤال والجواب ففعل اللغة لا يتم من خلال القول وإنما من خلال الحوار.

ثم إن مفهوم "الاتصال" في شكله الخام والذي استلهم منه الفعل التواصلي دعائم بقائه ليس منعزلا عن استراتيجية من الاستراتيجيات من حيث أن كل استراتيجية تناسب المستوى المعين من التطور اللغوي والدلالي بل الاجتماعي أيضا من حيث "أن ضرورة التأسيس الديمقراطي للتواصل في مجتمعاتنا المعاصرة خاصة بعد التطورات المتسارعة التي عرفتها الفروع المعرفية المتعددة تأخذ أيضا شكلا من أشكال الاستراتيجية وتحديد تلك تتجسد في الشكل البرلماني (النيابي) وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل الجاد حولها إذا كان الفعل التواصلي موجودا بالفعل" (1)

وعلى هذا فعلى أن نؤكد على العلاقة بين اللغة والتواصل عند هابرماس حيث كانت فلسفة اللغة (2) عنده أهم الروافد الأساسية في تكوين النظرية الفعل التواصلي فقد اهتم هابرماس بأعمال اللغويين وفلاسفة اللغة خاصة كلا من جون أوستين وجون سيرل في

(1) Hobermas: The Theory of commicative Action V2 p127

(2) عمر مهبيل "إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة" ص362-363، ط1، ص33.

نظرية "أفعال الكلام" وهي نظرية تنطلق ممّا يسمى بفلسفة اللّغة الطبيعية التي طرحها فيتجنشتاين في كتابه "بحوث فلسفية" وفي فكرته الأساسية عن أبعاد اللّغة "واستحالة الفصل بين الدلالة والتركيب والتداول ويعد جون أوستين هو المؤسس لهذه النظرية التي انطلقت عنده من خلال فقدته لزعم فلسفي يرى أن قول شيء ما هو دوماً إثبات شيء ما أنّ دور اللّغة يقتصر على الأخبار عن العالم بالتالي فالقضايا النافعة هي التي تقبل الصدق أو الكذب وما عدا ذلك أحكام خالية من المعنى ولدحض هذا الرأي يقدم أوستين نماذج من عبارات لها صيغة الجمل الإخبارية وقد تابع الفيلسوف الأمريكي جون سيرل تطور نظرية أفعال الكلام" واقترح معايير جديدة لتصنيف أفعال الكلام" (1)

وقد نظرها هابرماس إلى الحياة اليومية على أنّها وسيط يقوم بإعادة الوحدة المفقودة للفعل فيقول "أنّ التغييرات المعرفية والتوقعات الأخلاقية وأشكال التعبير والتقييم لا تستغني خلال التواصل اليومي عن أن التداخل وتفاعل وللوصول إلى فهم العالم المعاش يتطلب تراث حضاري يتخلل المنظور كله" (1)

يرى هابرماس الحل لذلك كله يتمثل في "التواصل في الحياة اليومية والفلسفة دوراً في تحريك التفاعل بين الأبعاد المعرفية الأداتية والأخلاقية العلمية والجمالية التعبيرية التي كادت أن تتوقف اليوم" (2)

(1) حسن مصدق بورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية مركز الثقافي العربي دار البيضاء 2015.

(2) عطيات أبو السعود المرجع السابق ص322-323، ص20.

ويؤكد هابرماس على أنّ النشاط العقلي المعرفي الأدوات له أهمية شديدة من حيث القدرة على استخدام اللغة⁽¹⁾ والرموز والعلاقات من أجل تحقيق التواصل بين البشر لا تقل أهمية على العمل نفسه.

تهدف أفكار هابرماس الأساسية إلى الكشف عن الوسيلة التي بموجبها تقوم البنى الاجتماعية بتشويه عملية التفاعل وتثير فيها الاضطراب والبلبلّة إذ أنّ سوء الفهم ممكن بين البشر ويمكن خداعهم وتضليلهم بشكل منتظم.

وهو عندما يتحدث عن التواصل بين أفراد المجتمع يؤكد على أنّ النشاط التواصلي ليس عشوائياً وإنما هو منتظم وهذا يتطلب عدة شروط وذلك لأنّ النشاط التواصلي لا يكون مجرد فعل تتوجه به ذات منعزلة ولكنه مناقشة وحوار يتم بين مختلف الذات الفاعلة أو ذاتين فاعلين على الأقل، فالنشاط التواصلي هو حوار ومناقشة تدور بين الذات فاعلة مختلفة. حوار تحكمه عدة شروط تحددها عطيات أبو السعود⁽²⁾ منها:

١. إنّ النشاط التواصلي يتم من خلال تفاعل بين فردين أو أكثر داخل سياق العالم المعاش، فمن حق كلّ شخص له القدرة على الكلام أن يشارك في النشاط التواصلي.
٢. تتم عملية التواصل من خلال اللغة⁽³⁾ التي يتم بواسطتها علاقة بين المشاركين في التفاعل وبين العالم الخارجي وينهم بين الذات الأخرى. فاللغة هي الوسيط الأساسي

(1) أبو النور الحمدي أبو النور الحسن مرجع سبق ذكره ص 176

(2) عطيات سعود الحصاد الفلسفي للقرن العشرين مكتبة الإسكندرية منشأة المعارف جلال عزي وشركائه مصر .

(3) الزواوي بقورة فلسفة اللغة نقد المنطق اللغوي المعاصر ط1 دار الطباعة والنشر بيروت 2005 ص 209

في النشاط التواصلي وعن طريق اللّغة يتم الوصول إلى نوع من التفاهم بتوظيف الجمل والعبارات.

III. التجربة التواصلية هدفها الوصول إلى اتفاق بين الذات المشاركة في التفاعل وهذا لا يتطلب التقارب وجهات النظر.

IV. النشاط التواصلي أو العملية التواصلية لا بد لها من ديمقراطية الحوار.

V. وجود الظروف التي تضمن الإجماع الذي لن يتم الوصول إليه عن طريق قوة الأطروحة الأفضل ولذلك لا بد من قوة الحجة والبراهين التي يقوم عليها التواصل.

VI. أن يتحرر التواصل من أشكال الضغط وسيطرة وهيمنة كلّ طرف الآخر والقهر الخارجي.

VII. أن يتاح لكلّ مشارك في التواصل الفرصة في الدفاع عن رأيه دون سيطرة سلطة ما فقد حدد هابرماس بذلك شروط التواصل والمطالب الأساسية لفهم الأقوال والتعبيرات وسلامة وضمان اللّغة، وهي نفس المطالب التي تلزمها فعل الكلام المتضمنة في قابلية التعبير اللّغويّ للفهم، وصدق محتواه وصدق مقاصد المعبر عنها والمشروعة المعيارية للقول والتعبير وهذا كله في نظر هابرماس يؤكد ضمان تحقيق تواصل حقيقي غير مشوه. (1)

(1) كارل أوتو التفكير مع هابرماس ضدّ هابرماس تر عمر مهيبيل د.ط (الدار العربية للعلوم بيروت، لبنان، 2005)

يؤكد هابرماس أنّ فلسفة اللّغة تعدّ الأساس الذي بنى عليه نظريته على الفعل التواصلي بقوله "أنا مدين من النزاعات التّداوليّة والتحليلية للنظرية اللّغويّة فإنّ غاية الفهم المتبادل مغروسة في الاتصال اللّغويّ" (1)

فيرى هابرماس ضرورة تأسيس ما سماه بتداولية عامّة كونه تحدد شروط صلاحية التبادل والتواصل فيرى ضرورة الاهتمام باللّغة بوصفها فعلا لغويا تبادليا لجملة من العلاقات الاجتماعية ممّا يعني الاهتمام التعبيرية التواصلية للغة.

لقد توسع هابرماس في نظرية الفعل التواصلي واقترح نظرية أخلاق للمناقشة تقوم على قاعدتين أساسيتين هما قاعدة الديمقراطية ومضمونها "أن أي قاعدة أو معيار لا يملك الصلاحية إلا إذا كان المعنيون على اتفاق فيما بينهم أو يمكن لهم الاتفاق عليه بوصفهما شركاء في المحادثة العملية ما بشأن تلك القاعدة أو المعيار " والقاعدة الثانية سماها بالقاعدة الكونية وهي " أن كلّ قاعدة لكي تكون صالحة يجب أن تستوفي الشروط سواء من حيث نتائجها أو آثارها الجانبية وأن تلقى القبول من كلّ الأشخاص الذي لهم علاقة به. (1)

(1) يورغن هابرماس أخلاق التواصل تر أبو النور حمدي للطباعة والنشر بيروت لبنان 2012، ص 63.

١١. موقف هابرماس من اللغة:

فاللغة عند هابرماس هي الوسيط الذي يحقق التفاهم حيث يؤكد على "أننا إذا أردنا أن نفهم الفعل التواصل علينا أن نفترض اللغة بوصفها الوسيط الذي يمكن أن يتحقق فيه نوع من التفاهم" ⁽¹⁾ وقد طور هابرماس بعض الأفكار المتعلقة بالمضامين التي ينطوي عليهما الحوار أو المناقشة كما طورها مفكرين أمثال بول جريس (1930-1988) وقد كان أحد الأسباب التي دفعت هابرماس إلى هذا التحول نحو اللغة.

يؤكد هابرماس على أن اللغة تلعب دورا رئيسيا أساسيا في نظرية الفعل التواصل باعتبارها "الوسيط الأساسي للتواصل بين الذات" ⁽²⁾ وحجة هابرماس هنا هي أن قدرتنا على التواصل ذات بنية وقواعد أساسية لا توجد إلا في اللغة فكان اهتمام هابرماس باللغة من منظور خصائصها التداولية فاللغة تشكل عنده نسقا من قواعد تساعد على توليد تعبيرات تعتبر من عناصر اللغة.

فقد حاول هابرماس استخلاص المحتوى المعياري لفكرة الفهم الموجودة في اللغة (هابرماس) التواصل وأدى ذلك إلى مفهوم مركب يتضمن فهم معنى الأفعال الكلامية وأيضا التفاهم المتبادل بين المشاركين في التواصل فيقول هابرماس "أن المتحدث في كل فعل من أفعال كلامه يرجع في آن واحد شيء ما يخص العالم الموضوعي وعالم الطائفة الاجتماعية

⁽¹⁾ يوغرن هابرماس إتيفا المناقشة، مرجع سابق، ص53

⁽²⁾ زواوي بقورة المرجع سابق ص211

إلى عالمه الذاتي وهذا يفترض أن المشاركين في التفاعل يمكن أن يعبثوا إمكانياتهم العقلية بحيث يكون ذلك معتبرا عن الرغبة الصريحة والواضحة في التواصل والتفاهم⁽¹⁾

أي التفاهم عند هابرماس هو الاتفاق بين المشاركين في عملية التواصل فالتفاهم اتفاق مبرر عقليا بين الذات القادرة على الكلام والفعل للوصول إلى إجماع، وهذا يتحقق عن طريق أن يكون للفهم مستويات منها أن يفهم المستمع، التعبير ثم يتخذ هذا المستمع موقف الإيجاب أو السلب هم نتيجة اتفاق ما يوجه المستمع فعله حسب المتطلبات المطلوبة بشكل محسوب.

ومفتاح فكرة هابرماس عن التواصل إلى التفاهم تنطوي على اتفاق يقاس بما سماه مزاعم الصدق فتحتاج الفاعلية التواصلية يتوقف أذن على أن يتوصل المشاركون إلى اتفاق متبادل حول تحديد علاقتهما بالعالم ونجاح التفاعل هو الوصول إلى إجماع بين مختلف المشاركين على مزاعم الصدق المدعمة بالحجج والبراهين العقلية.⁽²⁾

كان اهتمام هابرماس باللغة والمعنى المرتبط بشكل أساسي بالإشكالية المركزية المتعلقة بالعقلنة والحدثة. وهذا أساس لدى هابرماس ما يسمى باسم "التداولية الصورية" التي يؤكد وظيفتها هي إعادة بناء شروط الإمكان للتفاهم أن كل فعل تواصلي أو فاعل تواصلي يقوم بفعل الكلام مضطر للتعبير ادعاءات عبر تشارك في عمليات التفاهم⁽³⁾

(1) هابرماس سهم في قلب الزمن الحاضر تر بلعباس أحمد المعرب السنة الأولى العدد 3 نوفمبر 1997 ص132

(2) موسوعة الفلسفة العربية المجلد الأول بيروت معهد الإنماء العربي ط1 1986 ص817-818

(3) قيس هادي أحمد "الإنسان المعاصر عند ماركيز" بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1980 ص68-70

كالهدف من التفاهم كما يؤكد هو الوصول إلى نوع الاتفاق بين الذات يؤدي إلى تقارب وجهات النظر والآراء فيرى "أنّ التفاهم هو العملية التي من خلالها يتحقق اتفاق معين على أساس المفترض لادعاءات الصلاحية المعترف بها باتفاق مشترك" فاللغة عند هابرماس تشكل نسقا من القواعد يساعد على توليد تعبيرات لدرجة أنّ كلّ تعبير مصاغ بشكل صحيح يعبر عن عنصر من عناصر هذه اللّغة ومن كم فإنّ الذات القادرة على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عمليات التواصل لأنّها تستطيع التعبير والفهم الجمل والجواب عنها. (1)

على العموم فإنّ التفاعلات الاستراتيجية ينظر إليها بوصفها تفاعلات منتشرة بواسطة اللّغة، وهنا نجد الكلام ذاته مندمجا في الأفعال الهادفة والأشخاص المتفاعلين أنفسهم يتصرفون وفق هذا الأمر ويبحثون عن طرق تسهل عملية التواصل بينهم وذلك عن طريق اللّغة كوسيلة متوفرة. (2)

يؤكد هابرماس في كتابه "نظرية الفعل التواصلي" على أنّ الفعل معتمدا على اللّغة ويظهر في حالة الممارسة والتحقق واستفادة هابرماس هنا من التراث الفلسفي السابق عليه بداية فيبرميد مدرسة فرانكفورت مروراً بالتراث الألماني خاصّة فيجنشتاين، فاللغة عند هابرماس تمثل عمق وتشكيل لشخصية الاجتماعية وتمثل المجتمعات الإنسانية كلها. فاللغة هنا تمثل الخط موجه الذي يجمع ويفصل معا بين الفردية والاجتماعية وهذا يؤسس الفعل

(1) يورغن هابرماس إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة تر فتقديم عمر مهبيل دار العربية للعلوم الناشرون ومنشورات الاختلاف الجزائر دط دس.

(2) هابرماس "حول مفهوم النشاط التواصلي" تر عمر مهبيل (مجلة دراسات) تونس العدد 7-8، 1997 ص140

التواصلي فالفعل التواصلي عملية لغوية سلوكية تظهر وتنشط في اتجاه طرح الشكل التركيبي

للعقل العملي فنظرية الفعل التواصلي تخفي ورائها شكلا عقلانيا للغة. (1)

يؤكد هابرماس أنّ الفهم والتواصل في الحياة البشرية يتعرض لنفرت دلالية متعددة

فكثيرا ما نجد الاختلاف وعدم الفهم في المحادثات والمناقشات اليومية وهذا يرجع إلى ألعاب

اللغة فإنّ إمكانية التخلص من حالة عدم الفهم أو الاتفاق تفترض كما يرى هابرماس "وجود

أساس للمعنى ويكون متفق عليه بشكل عام الإجماع" (2)

تحليلات هابرماس للتواصل غير المقيد ليقف التخابط المثالي تشكل جزءا

هاما من نظريته في التواصل والكفاية التواصلية بشكل عام وهذه التحليلات تتبع لأشكال

مختلفة في نظرية الاجتماعية. (3)

نجد أنّ العقل التواصلي عند هابرماس يتضمن كلّ أشكال التواصل التي تتعلق

بالتفاعل العادي القائم بين الأفراد وهذا التفاعل يسير على نحو عادي غالبا للتساؤل فإنّ

التواصل يكون معرضا للإخفاق ومن هنا فإنّ الأساس الذي يبنى عليه الإجماع في عملية

التواصل يتطلب مراجعة من أجل الوصول إلى نوع من التيقن في الحقيقة ما يقال والهدف

من التخابط "وهو الوصول بواسطة الحوار وادعاءات مفترضة تكون بمنزلة الإجماع الذي

يمكن أن يشكل أساسا عقلانية لتفاعل تواصلي جديد" (4)

(1) مطاع صفدي "التدولي والتواصلي" مجلة الفكر العربي المعاصر عدد 46 (بيروت) مركز الاجتماع القومي، 1987

ص 10، 11

(2) أنور مغيث النظرية النقدية وأسسها المعرفية عند هابرماس "مجلة الإبداع" القاهرة العدد 5 ماي 1986 ص 82

(3) حسن حماد "النظرية النقدية عند ماركيز" بيروت دار التنوير للطباعة ط 1 1993 ص 59-60

(4) مقدمة الترجمة إيمان عبد الفتاح "موسوعة العلوم الفلسفية" بيروت دار التنوير للطباعة ط 1 1983 ص 207-221

لذلك يؤكد هابرماس لتحقيق الإجماع العقلاني تساوي أفراد في عملية الحوار وهذا ما أشرنا إليه سابقا. ولذلك فإنّ المشاركين في الحوار يكونون غير مقيدين في حوارهم وأقوالهم سواء بقوة داخلية أو خارجية ولذلك فإنّ شروط التخاطب المثالي هي "شروط المجتمع الحر المنظم بطريقة عقلية" (1)

يؤكد هابرماس على وضع نظرية الفعل جنبا إلى جنب مع الحوار والنقد. لذلك اتخذ هابرماس الخطوات اللازمة لتحليل الفعل الذي يقوم على أساس فلسفة اللغة، فقد اعتقد أنّ التوفيق المنشود بين النظرية والتطبيق يمكن أن يتحقق بالحوار المثالي بعد أن أدخل عليه تعديلا لغويا فأصبح أهمه "البراجماتية العامة" ومهمة البراجماتيقا العامة هي إثبات الشروط العامة لفهم ممكن وإعادة بنائها" (2)

لقد كان هدف هابرماس هو البحث عن الفروض العامة لفعل تواصلي ويتحقق هذا الهدف عن طريق القدرات العامة المطلوبة لأداء ناجح لأفعال الكلام Apeecu Acts فالفهم الصحيح لمشكلة العقلانية يأتي من خلال إعادة بناء نظرية التواصل عامّة ومن خلال التفاعل اللغويّ خاصّة" (3)

(1) محمد نور الدين أفاية الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس المغرب إفريقيا للنشر ط1

1991 ص280

(2) Havermes: Overview of Gadumavis and Mcthad nin Ered R.Dallasysr Thomas Mc covtuyuhdevstaning & social in quiry Noved me pr loudi 1977 p238

(3) أندريا لالاند "موسوعة لالاند الفلسفية" المجلد الأول تعريب خليل أحمد خليل منشورات عويدات بيروت 1966 مادة "النقد" ص237-238.

فاللغة في نظرية هابرماس "تعتمد على عمليات اجتماعية ليست لغوية في طبيعتها وإنما هي واسطة للقوة الاجتماعية" ⁽¹⁾ هذا يوضح مدى اهتمام هابرماس بفلسفة اللغة والهيرومنوطيقا.

يتميز الفعل التواصلي عند هابرماس بكونه مفهوما وصفيا لأنه يعتمد على اللغة العادية ولأنه مبدأ معياريا فهو يعبر نموذجا للمجتمعات الديمقراطية فالفعل التواصلي كما صاغه هابرماس يعتمد على منجزات نظرية الأفعال الكلامية كما أرسى قواعدها أوستين وسيرل بما أنه يرى أن الفعل (الأخلاقي) اللغوي فعلا تأسيسيا للعلاقات الاجتماعية وبما أنه ركز في نظريته التواصلية على الجانب التداولي بين أفراد الجماعة الخاصة أو العامة وأكد على الطابع الوظيفي والإتفاقي لقواعد اللغة التي تسمح بتحقيق الفعل التواصلي وذلك بناء على نظريته في التداولية الكلية أو العامة "البراجماتية"

يتوجب علينا أن نشير إلى الجذور الأساسية لنظرية "البراجماتية" عند هابرماس والتي تتمثل في الآتي:

أ- نظرية استخدام اللغة:

وهذه النظرية تركز على الطرق التي تستخدم بها التعبيرات أو الجمل أو الكلمات في الحياة اليومية وهنا نجد الجذور تمتد إلى فلسفة اللغة عند فيجشتاين فهو يرى أن اللغة

⁽¹⁾ هابرماس العلاقة بالعالم مظاهر العقلانية الفعل تر جورج صالح مجلة الفكر العربي المعاصر بيروت مركز الإنماء

القومي العدد 46 سنة 1987 ص31

نشاط ينحصر في استخدام الكلمات كأدوات Tods وهنا يذهب فيجشتاين بأنّ كلّ كلمة لها معنى ويرتبط هذا المعنى بالكلمة. (1)

فنجد أنّ فهم الإنسان للاستعمالات المختلفة للألفاظ يشبه فهمه للقواعد التي لا بد من مراعاتها في كلّ لعبة من الألعاب فاللغة هي أشبه ما تكون باللعبة واللغة مستخدمة في حياتنا فالكلمة ليس لها معنى واحد بل لها عدة معاني (2) وهذا ما أكدّه فيجشتاين لا يسأل عن معنى اللّغة بل استخدامها.

ويسأل الكثير من الفلاسفة الذين اتبعوا طريقة ونهج فيجشتاين في نظريته الجديدة عن اللّغة واهتموا باستخدام اللّغة ما تخير منهم سترواسون الذي يميز استخدام تعبير أو جملة ونجد كذلك رايل Ryle يرى أنّ فهم الكلمة أو عبارة هو معرفة كيف نستخدمها. (3) أشهر من اهتموا بأفعال الكلام هما أوستين وسيرل فقد ميز أوستين بين ثلاثة أنواع من أفعال الكلام وهي:

الأفعال الغرضية Illocutionary والأفعال التعبيرية Locutionary والأفعال التأثيرية perlocutionary (4)

يرى سيرل أنّ اللّغة هي تأدية أفعال الكلام فيقول "أنّ التواصل اللّغويّ يتضمن أفقا لا لغوية فوحدات التواصل اللّغويّ هي إنتاج الرمز أو الكلمة أو الجملة في تأدية الأفعال

(1) فرانسوا إدوارد هابرماس جدلية العقل الحديث تر محمد ميلاد (مسارات فلسفية) سوريا دار الحوار للنشر ط1 2004 ص151 152

(2) المرجع نفسه ص 153

(3) عمر مهيبيل هابرماس والخطاب الفلسفي مجلة المدارات العدد 11-12 تونس 1999 ص5-15

(4) الزواوي بقورة المرجع السابق ص212

الكلام" (1) فالتواصل في رأي سيرل يتضمن بالضرورة أفعال الكلام وماله من معنى هو الذي يمكن أن يقال والتحدث هو تأدية أفعال وفقا لقواعد ما.

يؤكد هابرماس على أن المحاولات كلا من أوستين وسيرل بخاصة لها أهميتها من حيث "أنّ نظريتهما في أفعال تمثل نقطة الانتقال الواحدة إلى البراجماتية العامة" (2)، ولكنه لم يكتف بأوستين وسيرل إلى المحاولات أخرى لفلاسفة آخرين مثل موريس وجون راييس وراسل وغيرهم فكان الهدف هابرماس البحث عن فروض عامّة للتواصل أو البحث عن فروض عامّة لفعل تواصل.

ب- نظرية القدرة اللغوية:

ترجع هذه النظرية إلى تشومسكي الذي يذهب إلى أنّ الأداء اللغوي يتضمن قواعد نظرية لم يتلقاها الإنسان من قبل وهذا ما يطلق عليه اسم القدرة اللغوية Competence فيؤكد إننا نستخدم قواعد لقنت في الفهم الجملة أو نطقها بدون أن نعي أننا نفعل ذلك وهذا أمر فطري لدى الإنسان. (3)

حاول هابرماس أن يلتمس المساندة من نظرية تشومسكي عن القدرة اللغوية التي يبدو أنّ عنصرا من الفلسفة المثالية للغة يظل ماثلا فيها لذا فإنّ هابرماس يؤكد ويعتمد "على أنّ هذا يتطلب من المتحدث بجانب القدرة اللغوية قدرة أخرى وهي قدرة تواصلية" (4)

(1) محمود سيدأحمد "البراجماتية" عند هابرماس القاهرة (دار الثقافة للتوزيع والنشر) 1993 ص9

(2) المرجع السابق ص11

(3) بول لوران أسون "مدرسة فرانكفورت" تر سعاد حرب بيروت ط1 1990، ص323.

(4) Searle J.R.Speech Acts p16 22

تتحدد البراجماتية العامة عند هابرماس في الآتي:

نستخلص من أعمال هابرماس عدة ملامح للبراجماتية العامة وهي صحة أساس الكلام والقدرة على الأداء والصورة المعيارية لفعل الكلام والكليات والكلام المثالي. وقد أشار إلى هذه الملامح محمود سيد أحمد في دراسته "البراجماتيقا العامة عند هابرماس" ونستطيع أن نعرض لها على الوجه التالي:

أ- الصحة أساس الكلام:

حيث يؤكد هابرماس أن اللغة والكلام يخضعان للتحليل الصوري وأن أي شخص يفعل بصورة تواصلية يجب تأدية أي فعل من أفعال الكلام أن يثير دعاوي صحة عامة، على أنه يجب على المتحدث أن يختار تعبيراً مفهوماً حتى يفهمه المستمع وأيضاً يجب أن يكون لديه قصد لتوصيل قضية صادقة وأن يكون المتحدث مخلص في حديثه مع اختيار تعبير صحيح Right. (1)

وهنا يؤكد هابرماس على أن هناك شروط لا غنى عنها في فعل التواصل يهدف إلى تحقيق التفاهم بين الأفراد والنوات.

ب- مفهوم القدرة على الأداء:

يثير هابرماس في مقالة شهيرة What is universal pragmatics ? الذي نشر عام 1976 والذي نشر في كتاب صديقه كارل أوتوآبل الذي يقود معه المدرسة النقدية الجديدة تحت عنوان sprash pragmatik and philophic إلى أن فحص اللغة والكلام لن يقتصر فقط

(1) أنور مغيث نظرية النقدية وأسسها المعرفية عند هابرماس مجلة الإبداع القاهرة العدد 5 ماي سنة 1998 ص 82

على دراسة الجمل من الناحية الصوتية والتركيبية أو الدلالية، بل يجب أن ننقل إلى مستوى رابع جديد يعني بتداولية الأفعال والخطاب بحيث لا نكتفي بالجمل لصالح دراسة التداول

الخطاب ككل أي الانتقال من دراسة الكفاية اللغوية إلى الكفاية التواصلية. (1)

وإذا كان تشومسكي (2) قد اهتم بالفصل بين الكفاءات والأداء اللغوي فإن هابرماس طور مفهوم الكفاية اللغوية إلى مفهوم الكفاية التواصلية التي أصبحت بعد ذلك كناية عن مجموع الكفايات البشرية الموضوعية في سجل التاريخ اللغوي للبشرية، والتي يصبح بمقتضى ذلك أمور تعملها واكتسبها متميزا أو سهل البلوغ. (3)

لقد تبنى هابرماس مسلمة المتكلم المثالي عند تشومسكي الذي بوسعه التصرف في اللغة على نحو توليدي غير محدد ووسع الكفاية اللغوية إلى الكفاية التواصلية التي تصبح أشمل وأوسع من مجرد إنجاز اللغوي فاللسانيات التداولية غير المدرسة التوليدية النحوية ترفض الزعم المبسط للعلاقة ثابتة غير غامضة بين البنية السطحية للجمل بمعنى التتابع الأفقي للحروف لتكون الكلمات وتتابع الكلمات لتكوّن الجمل والعبارات. والبنية العميقة التي تحمل دلالة هذه الجمل.

على خلاف تشومسكي في تميزه بين القدرة Ability والأداء Performance نرى هابرماس له رأي وصورة أخرى. وذلك من حيث أن الهدف الذي يركز عليه هابرماس هو

(1) حسن مصدق المرجع السابق ص126

(2) نعوم تشومسكي (Naom Chomeski) 1928 فيلسوف سياسي وناقد إعلامي أستاذ لسانيات الطرح الهابرماسي وصف أنه أبو العلوم اللسانية الحديثة يعدّ شخصية رئيسية في الفلسفة التحليلية من أهم مؤلفاته الدول الفاشلة تضيع الموافقة المثلث المحتوم وغيرها.

(3) حسن مصدق مرجع السابق ص127

القدرة على التواصل وهي قدرة المتحدث على الفهم المتبادل لأن يضع جملة مصاغة جيداً في علاقات الواقع وهذا جعل هابرماس يثير عدّة نقاط منها تحديد البناء العام للكلام وتوضيح الخصائص الدلالية للجمل فهو يرى في حديثه عن اللغة والكلام "بأنّه يجب على المتحدث أن يعي بالفروض العامة للتواصل فالجملة يجب أن تعي بالشروط التي يمكن من القدرة التواصلية" (1)

ويذهب إلى أنّ هناك مناهج مختلفة للنظرية السيمونطقية ولكن هذه النظريات ضعيفة من وجهة نظر هابرماس ولأنّها تركز على استخدام الجمل من أجل غرض معين فقط، وهنا يرى "أنّ نظرية السيمونطقية تتجاهل المعاني التي تطورها اللغة في وظائفها المعبرة والتي توجد بين الأشخاص" (2)

ت- الصورة المعيارية لفعل الكلام:

يرى هابرماس أنّ أساس الذي يركز عليه استخدام أفعال الكلام هو القوة المنتجة لأفعال الكلام ففعل الكلام ينجح إذ حدث علاقة بين المتحدث والمستمع. فرق تشومسكي بين القدرة اللغوية (3) وبين الأداء اللغوي لدى الإنسان فالأداء اللغوي هو طريقة كتابة جملة بسيطة أو مركبة ومرتبطة على مستوى الحديث الجاري أمّا القدرة فهي أن الإنسان يمتلك عدة قواعد صورية أولية تمكن من تركيب الجمل بصورة صحيحة..

(1) توم بوتومورو "مدرسة فرانكفورت" تر سعد هجرس ليبيا دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع 1998 ص 37-38

(2) حسن المصدق المرجع السابق ص 128

(3) محمود فهمي زيدان "في فلسفة اللغة" بيروت (دار النهضة العربية) 1985 ص 42، 43.

فالقوة المنتجة توجد وتظهر في واقعة مؤداها "أنّ المتحدث يمكن في تأدية فعل من

أفعال الكلام أن يؤثر على المجتمع بطريقة تجعله يبني علاقة شخصية معه." (1)

كما يؤكد هابرماس على التميز الداخلي لمعيار فعل الكلام يعكس مستويين يجب

أن يتحرك بينهما المتحدث والمستمع إذا أراد التواصل مع بعضهم البعض.

ويطلق هابرماس على مستوى الأول باسم المستوى البين ذاتية Intersubjectivity الذي

بناءً عليه يتواصل المتحدث مع المستمع ويطلق على المستوى الثاني اسم مستوى المضمون

القضوي Propositional content أو مستوى الموضوعات والجذب التي يتبادل المتحدث

والمستمع أراهما حولهما (2) أي أنّ التواصل في اللغة عنده يمكن أن يحدث فقط عندما

يتدخل المشاركون بصورة تلقائية مع بعضهما البعض فيما يخص شيئاً من الأشياء فيها

هذين المستويين.

III. الكليات البراجماتيقية:

يرى هابرماس أنّ القدرة على وضع جمل مصاغة جيداً من الناحية النحوية في

أفعال الكلام تفترض أنّ المتحدثين يمتلكون سلسلة من كليات البراجماتيقية هذه الكليات

تكون بين ذاتين ولديه القدرة على تكوين عناصر لغوية وهذه الكليات تكون عناصر خالصة

(1) جاك فيري فلسفة تواصل تر عمر مهيل الدار العلوم بيروت ط1 2005، ص234.

(2) عمر مهيل إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ط1 الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف المركزي الثقافي الغربي د.ب 2005.

تؤسس شروط التواصل لأنه بدون هذه الشروط لا نستطيع تحديد مكونات الكلام الممكن.

(1)

والمقولات البراجماتيقية عند هابرماس لها مكونات عدة منها:

الأسماء الشخصية ومشتقاتها والتعبيرات الزمان والمكان وأسماء الإشارة والأفعال المؤدية والأفعال القصدية اللامؤدية.

وكان تركيز هابرماس على الأفعال المؤدية ويرى أنها تنقسم إلى أربع أنواع أساسية أهمها "أفعال تواصلية تكون موجهة إلى عملية التواصل وأفعال تقريرية تهتم بالتطبيق المعرفي للجمل ثم أفعال تمثيلية وهي تهتم بالتعبير عن مقاصد المتحدث وأخيرا الأفعال التنظيمية والتي تشير إلى المعايير التي يمكن اتباعها" (2)

وهذه الأفعال والتصنيفات يمكن أن تربط وتنتج نموذج عام للتواصل لغوي.

هـ- الكلام المثالي:

يرى هابرماس أنّ الموقف المثالي للكلام يتميز بعدم وجود مانع مثل الضغط يمكن أن يعوق عملية التواصل وأنّ هناك تكافؤ بين الناس والمشاركين في الكلام لغرض الاختيار والحديث فالمساواة في التطبيق أفعال الكلام التواصلية هي أنّ الجميع المشاركين في الخطاب لديهم فرص لتدعيم الحوار.

(1) محمود سيد أحمد المرجع سابق ص25

(2) Habermas: communication and the evolution of society p54

ومن المهم القول أنّ موقف الكلام المثالي ليس ظاهرة تجربة وليس مجرد بناء وإنما هو افتراض مسبق لا يمكن الاستغناء عنه للخطاب وبالرغم من ذلك لم يستبعد هابرماس إمكان،

أن يتحول الكلام والخطاب إلى حقيقة واقعية" (1)

فحديث هابرماس عن الكليات البراجماتقية وموقف الكلام المثالي يعد من أكثر الجوانب التأملية لفلسفة بل يعد من أكثر الجوانب المثالية لبرنامج هابرماس الفلسفي اللغوي.

طريقة إعادة بناء نظرية لفعل التواصل وخاصة في التفاعل اللغوي يرى أنّ هناك شروط وقد أوضحنا مسبقا وهي أساسية حتى تتم عملية التواصل ولكن هناك سؤال يطرحه محمود سيد أحمد هو هذه الشروط يمكن أن تتحقق ؟ في الحقيقة إنّ تحقيق هذه الشروط أمر صعب ونادر في معظم الأحوال بسبب أكاذيب والتغيير الزائف في الحياة اليومية فإذا وجدت هذه الشروط وتخلصنا من النفاق والخداع في حياتنا اليومية يكون التواصل بيننا حقيقيا وليس تواصلا مشوها وهذه هي الصورة الآدمية للإنسان كما يجب أن يكون.

(1) جامد خليل المنطق البرغماتي دليل النقد الأدبي المركزي الثقافي مصر 1996 ص196.

المبحث الثالث: العقل الأداتي والعقل التواصلي

النظرية التواصلية عند هابرماس والتي تعد الإسهام المميز في الفلسفة الراهنة كما أنها السبيل للمناقشة قضايا الفلسفية المختلفة خاصة ما يتعلق بالأخلاق لذا كان من الضروري في بحثنا عن أخلاق التواصل عند هابرماس لذا فنحن نتناول فيه تمييزه العقل الأداتي والعقل التواصلي. (1)

يعبر العقل الأداتي (2) من أهم النقاط التي عن هابرماس الهجوم عليها بسبب مركزيته في الفكر الغربي وسيطرته على العقول الغربية في ظلال الرأسمالية الحديثة لذلك سوف نذهب الحديث عنه وعن موقف هابرماس من خلاله أن يغربل العقل الأداتي.

لذلك اتجه هابرماس لمحور من المحاور الأساسية في فلسفة لاستكمال مسيرته الفكرية في العقل التواصلي ألا وهو محور اللغة التواصل فكان يرى اللغة هي وسيلة للتفاهم والحوار وهي قاعدة الأساسية للتواصل (3) بين الأفراد المجتمع في ظلّ عالم معاش جيد. فقد رأى هابرماس أنّ اللغة هي الممثل الرئيسي للتواصل بين الأفراد في ظل الحديث مثالي غير مشوه أو اتصال بين أفراد أو على نظام الحوار المستند من أدلة وحجج عقلية. - وحتى يتسنى في بداية تناول هابرماس سوف نميز بين العقل الأداتي والعقل التواصلي.

(1) يورغن هابرماس القول الفلسفي للحدثات تر فاطمة الجبوشي دط منشورات وزارة الثقافة دمشق 1995 ص454

(2) هابرماس "القول الفلسفي للحدثات" ص452.

(3) نفس المرجع ص368

- نحاول في بداية الأمر أن نشير إلى مفهوم العقل الأداتي وموقف هابرماس من هذا العقل الأداتي ممّا يلزم الوقوف على ملامح العقل الأداتي وعوامل ظهوره وكيفية صيرورة إلى عقل هابرماس وهو العقل التواصلي.

1. الطبيعة الاختزالية للعقل الأداتي:

مفهوم العقل الأداتي التي قد ظهر في العديد من مؤلفات الفلاسفة والمفكرين السابقين على هابرماس أهمها هوكهايمر وأردرنو في كتابهما الجدل التنوير وكتاب هوكهايمر "أقول العقل" 1974 وكتاب ماركيز "الإنسان والبعد الواحد" عام 1964 أنّ العقل الأداتي لدى هؤلاء هو منطق في التفكير وأسلوب في رؤية العلم أي أنّ العالم الاجتماعي أصبح له طبيعة ثابتة وأصبح كالتبيعة غير قابلة التغيير ومستقلا عن أفعالنا.

يذهب هوكهايمر إلى "العقل الأداتي هو العقل المهيمن في المجتمعات الرأسمالية الحديثة التي فقد فيها العقل دوره كملكة فكرية وتم تقليصه إلى مجرد أداة لتحقيق الأهداف معينة بالتدريج فقد العقل رؤيته للهدف وأصبح مجرد أداة لتوفير الوسائل وأدى ذلك إلى فقدان العقل للقدرة على الإدراك للحقائق في ذاتها حيث أصبح كلّ شيء مجرد وسيلة" (1)

(1) M.Hokheimer, The Elipse of Reason p7

فمصطلح الأدوات عند هابرماس يحمل مضمونيت "أحدهما يمثل أسلوب لرؤية

العالم والمضمون الآخر أنه يمثل أسلوب لرؤية المعرفة النظرية"⁽¹⁾ مما يوضح صلة

العقل الأدوات بالأغراض العلمية.

يذهب هابرماس في كتاب "التقنية والعلم كأيدولوجيا" إلى العقل الأدوات يعبر

عن العقلانية الأدوات التي لعبت دورا هاما في المجتمع الرأسمالي الغربي.

يؤكد هابرماس أيضا أن مفهوم العقل الأدوات لدى ماركيز الذي يتفق مع مفهوم

العقل التقني أو الأدوات "وهو ذاته إيدولوجيا فالتقنية هي السيطرة ذاتها على الطبيعة

الإنسان فالتقنية مشروع تاريخي اجتماعي تنعكس فيه ما يريده المجتمع والمصالح

المسيطرة أن تفعله بالبشر والأشياء"⁽²⁾

يقر هابرماس "بأن العالم والتقنية قد تعاضها إلى درجة أصبح معها أهم القوى إنتاجية

ويسعى هابرماس إلى تحليل عوامل عدم التلائم بين النتائج العقلانية عالية التوتر بين

أهداف لا رؤية فيها وأنساق تسمية مختلفة جامدة إيدولوجية ضعيفة ويحاول البحث عن

كيفية إرجاع سلطة التصرف التقني إلى إجماع المواطنين"⁽³⁾

(1) هابرماس "التقنية والعلم كأيدولوجيا" ص47

(2) هابرماس "التقنية والعلم كأيدولوجيا" ص88

(3) جيمس فينيوس يورغن هابرماس مقدمة قصيرة جدا تر أحمد الدربي مر ضياء مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط12

يقصد هابرماس بالعقل الأداتي أنّه يمثل العقل الغائي فهو إما "أن يكون أداتيا أو

اختبارا عقلايا أو مركب منهما" (1) ويهتدي العقل الأداتي بالقواعد التقنية التي تقوم على

معرفة تجربة ويحقق العقل أهداف محددة في ظل شروط واضحة.

فيؤكد هابرماس أنّ مفهوم العقل الأداتي يعتبر أكبر دليل على ظاهرة التمرکز حول العقل

العلمي - التقني ويبين كيف أنّ حركة التطور العلمي في عصر الأنوار أدت إلى ظهور

العقل ويوضح الأساس التي أدت إلى ظهور العقل الأداتي "ومنها الآليات التي وضعها

وأرساها النظام الحديث أو بالأحرى المجتمع الحديث" (2)

سمات العقل الأداتي:

حاول هابرماس أن يتخلص سمات عامّة للعقل الأداتي وبين الطريقة الإختزالية

التي يمارسها بحق الطبيعة والإنسان، فالعقل الأداتي ينظر إلى الطبيعة والواقع من منظور

التماثل ولا يهتم بالخصوصية ويحاول هذا العقل الأداتي تفتيت الواقع إلى أجزاء غير

مترابطة وينظر إلى الإنسان باعتباره مجرد جزء يشبه أجزاء الطبيعة المادية في الإنسان

بالبنية للعقل الأداتي شيء ثابت وكمي.

ويقصد هابرماس من وراء نقده للعقل الأداتي هدم المعطيات هذا العقل وذلك من

خلال القضاء على مركزه الفلسفي الوضعي الذي أبرز هذه الرؤية للعقل ولم يقبل بالنقد

العقلاني الذاتي للعقل المتمركز على ذاته لأنّ وسيلة نقده هي الذات التي سرعان ما تتمركز

(1) هابرماس "التقنية والعلم كأيدولوجيا" ص88

(2) Morris Kdt Dictionary Phisophical library New York 1972 p44.

على ذاتها والحل الذي يقترحه هابرماس هو العقل التواصلي الذي يقوم على تنشيط التواصل

وقيمة الإنسان في المجتمع فالعقل التواصلي هو المخرج من هيمنة العقل الأداتي.

يؤكد هابرماس على أن العقل الأداتي مفهوم إجرائي للعقلانية لأنه يقتصر على

دمج البعد العلمي والأخلاقي بل أيضا البعد الجمالي التعبيري.

ويتبين أنه قد تخلص من مفهوم يقدم العقلانية الغائية المفصلة على البعد المعرفي والأداتي.

هذا المفهوم هو الشارح لطاقة العقل الراهية في الأساس صدق القول.

فالعقل المتمركز على الذات هو نتاج انشطار وانتصاب أي نتاج سيروية اجتماعية فقد

وصفها أدورنر وهوكهايمر بأنها سيروية الذاتية بوصفها تتجاوز قواها وشيء" (1) فكان من

الواجب تحرير طاقة العقل داخل التواصل مما ينقلنا للحديث عن العقل التواصلي عند

هابرماس من حيث تكوينه وسماته.

(1) المرجع السابق ص 45

الفصل الثالث يورغن هابرماس على محك النقد

- المبحث الأول: امتداد الفكر الهابرماسي.
- المبحث الثاني: أهم الانتقادات التي وجهت إلى هابرماس.

المبحث الأول: امتداد الفكر الهبرماسي

لما كان هابرماس يمثل الجيل الثاني لمدرسة الفرانكفورت النقدية مبدع في نظرية الفعل التواصلي كإطار لنقد العقل بالنسبة له إذ حاول تصفية الفكر الغربي من الشوائب الملتصقة بها.

نجد هابرماس لم يثبت أولاً ولا يستطيع أن يثبت أولية فعل التواصلي على الفعل الاستراتيجي أما دافيد راسمس "أولية العقل التواصلي عقل الاستراتيجي إذ يقول بإمكان المرء من نظرة سريعة إلى بعض الانتقادات المهمة لأعمال هابرماس، أن يخلص إلى أطروحة حول التحرر وبالإنعتاق لم يثبت ليس فقط. بل أنّ محاولة إقامة النقد على معرفة النسق والحياة اليومية لذا يظهر معانيه فيظهر أنّ محاولة تأمين أولية التواصل في فلسفة اللغة تلك التفرقة التي يقيمها بين نسق الحياة اليومية لذلك تلك التفرقة تقيد مجالات أساسية من التجربة الاجتماعية للبشر.

يتضح أنّ الفكر الهبرماسي ⁽¹⁾ هو فكر مجالي تميزت به أغلب أعماله حيث يدخل في حوارات ومجلات عديدة ذلك قصد معرفة درجة الصمود أفكاره وبرامجه الاجتماعية السياسية فهو فكر يتقاطع مع فلسفات عديدة سواء تعلق الأمر بمنطلقات فكرية أو فلسفية أو امتداداته الاجتماعية الأخلاقية ولما نجد هناك وصف هابرماس الفيلسوف الحداثي المتواطئ مع فلاسفة ما بعد الحداثة ذلك يعود إلى صبغة توجهه الفكري في الفلسفة النقدية.

(1) إيان كريب النظرية النقدية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس تر محمد حين علوم ناير 1999 دط ص 318-

إنّ ما يهمنا من كلّ هذا كما قلنا سابقا هو المشروع النقدي الذي أتى به إكسيل هونيث كابن شرعي لمدرسة فرانكفورت النقدية إذ حاول أن يؤسس نظرية الفلسفية إجتماعية جديدة إنطلاقا من التراث الفلسفي الغربي ومن التقليد الفرنكفوني جيل الأول والثاني على وجه خصوص هيقل كفاءة أساسية لبناء الاعتراف. (1)

إكسيل هونيث هو أحد تلامذة هابرماس من الجيل الثاني للمدرسة فرانكفورت يقوم مشروعه براديغم الاعتراف الذي يندرج في إطار توسيع مشروع هابرماس التواصلية. رغم ما يوجه إكسيل هونيث من انتقادات لهابرماس إلا أنّه استلم نظرية هابرماس التواصلية نظرية الاعتراف لذلك يتفق معه العديد من الأفكار شرط تطويرها منها ما يتعلق بالتواصل اللغويّ الذي لا يمثل حسب هونيث إلا جانب ولا من جوانب التفاعل الاجتماعي وأيضا ضرورة البحث عن جوانب أخرى عن الجوانب اللغويّة وفي نفس الوقت يتعرض هونيث على هابرماس عدم إعطاء للطابع اعتبار للطابع التنازعي الاجتماعي ودوره في تحديد الأنماط الاجتماعية والأخلاقية، حيث صراع والنزاع بين المجتمع التواصل اللغويّ يصحب عن حقيقة الحياة الاجتماعية وهذا كان من خطأ اختزال التفاعل الاجتماعي وعلاقات التواصل في البعد الضيق التفاهم اللغويّ (2) أنّ الذات لم يعد يتحدد بالرموز والمعاني المشتركة بين الجماعة.

(1) قراءات النقدية لمدرسة فرانكفورت ماكا هوكهايمر إلى إكسيل هونيث منشورات الاختلاف الجزائر ط2001 ص92

كمال بومنيير النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ص124

(2) مرجع نفسه ص104

ولقد حاول هونيث إضافة رؤية جديدة للنظرية النقدية من خلال تعيين مفهوم الاعتراف هيكلي ليوسع بها مشروع التواصل الهبرماسي وبالتالي نقل مفهوم الصراع من المعنى التقليدي من أجل الوجوه إلى معنى الجديد أكثر أصالة وهو الصراع من أجل الاعتراف⁽¹⁾ يتطراً إلى جميع بين مهتمين يشكّلان نظرية نقدية للمجتمع.

مشروع هونيث الفلسفي القائم على براديغم الاعتراف يهدف إلى تأسيس نظرية معيارية للمجتمع بغرض إعادة بناء أوستين أو تحديد النظرية النقدية الأولى على هذا الأساس قام في كتابه الصراع من أجل الاعتراف بإعادة بناء التجربة الاجتماعية انطلاقاً من أشكال الاعتراف التداولي التي يعبرها هونيث مؤسسة للهوية في تحقق الذات وجودها داخل النسيج العلاقات الاجتماعية أو الإنسانية.⁽²⁾

حيث يعتقد إكسيل هونيث أنّ النموذج التواصلّي عاجز في الحقيقة عن تغيير التجربة المعاشة للأشخاص حيث تجاهل هابرماس الطابع الصراعّي السائد في البنية الاجتماعية فكان بذلك مشروعه امتداد وتكملة للمشروع الهبرماسي الناقص فنظرية الاعتراف تحدد العلاقات التفاعلية من خلال الثقة بالنفس واحترام الذات.

ينتقد هونيث وجهاً آخر من وجوه الفلسفة هابرماس وهو الوجه الذي يعرف "في المنعطف اللغوي" باسم الفعل التواصلّي "ويميز في هذا السياق ما بين مستويين الأول ما يسميه بأولية المنهجية المعطاة للغة أي أنّ اللغة في المجتمعات المعاصرة تمتلك أولية

(1) كمال بونير النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت المرجع نفسه ص130

(2) المرجع نفسه ص105

منهجية ولكن هناك مستوى ثاني وهو المستوى الفعلي "أي عندما تصبح اللغة فقط هي التي تخضع للإهتمام وأن ما يتصل باللغة هو المفضل وله معنى ودلالة في علاقات الاتصال أو التواصل بين الذات الإضافية وفي هذا المستوى الاختزالي البعد الاجتماعي وتتم تحويله إلى مسألة اللغوية وهو ما يتعرض عليه هونيث "لأنّ العلاقات التواصل في المجتمع أو مع بكثير من التواصل اللغويّ فهناك تفاعلات سابقة على اللغة تظهر في علاقة الأم بالطفل. وهي معالم غير لغوية للتواصل الاجتماعي منها الإشارات وعلامات الجسد.

بالرغم من النقد الموجه النموذج التواصلي إلا أنّ هونيث يوافق هابرماس في بعض الجوانب المتعلقة بالجانب العمومي. وبخاصة ما تعلق بشروط المشاركة وآليات الإقصاء والهيمنة فنسبة للمشاركة فإنّ هونيث يشترط عنصر الإستقلال الذاتي وغياب الإكراه يستدل بمقولة آدم سميث "الإنتماء إلى الفضاء العمومي من دون الشعور بالخجل أو العار وهذا يقتضي وجوب الاعتراف الاجتماعي بجميع أشكاله.⁽¹⁾

حيث يعتقد أكسيل هونيث أنّ النموذج التواصلي عاجز في الحقيقة عن تغيير التجربة المعاشة لأشخاص حيث تجاهل هابرماس الطابع الصراعى السائد في البنية الاجتماعية. فكان بذلك مشروعه امتداد وتكملة للمشروع الهبرماسي الناقص فنظرية الاعتراف تحدد العلاقات التفاعلية من خلال الثقة بالنفس واحترام الذات.

⁽¹⁾ زواوي بغورة الاعتراف من أجل مفهوم جديد العدل دراسة في الفلسفة الاجتماعية دار الطباعة والنشر بيروت ط1

يبين هونيث أنّ الاعتراف قد أدى دور أساسي في الفلسفة العملية قديما وحديثا، فقديمًا كان فلاسفة الأخلاق على يقين من أنّ الفرد قادر على أن يحي حياة خيرة ويضفي بالتقدير في المدينة. كما شدد على مفهوم الاحترام عند كانط وتحول قيمة عليا تجد تعبيرها في الأمر القطعي الكانطي " اعمل دائما بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي أشخاص الآخرين كغاية لا كمجرد وسيلة" أي أنّ مبدأ الاعتراف له أهمية كبيرة منذ القدم فهو ليس مفهوم جديد حيث يمكن القول أنّ مفهوم الاعتراف يدعي ما يسمى " الصراع من أجل الاعتراف " وهذا بالرجوع إلى هيكل هوية الفرد ووجوده مرهون بمدى ارتباطه العضوي والمتكامل بالمجتمع الذي نعيش فيه والذي يأخذ فيه أدواره الاجتماعية والسياسية. وبالتالي فإنّ اكتماله يتوقف حتما على هذا الارتباط والانسجام والاعتراف المتبادل. وذلك أنّ الذات لا تستغني عن التفاعل والانفتاح على الغير ولا تبقى في حالة إنغلاق على ذاتها. هذا ويتوضح جدلية العبد والسيد عند هيكل هذا المعنى ⁽¹⁾ التي تترجم إلى الهيمنة والاستعباد حيث أراد هيكل من خلال كتابه شرح الفروقات بين الضمير السيد والعبد والجدل بينهما وكيفية التفاعل بينهما.

ومن هذا حاول هونيث من خلال مشروعه النقدية أن يسترجع حيوية التقليد الفكري للنظرية النقدية وتنحيه وفق مقتضيات الزمن والحاضر والظروف الراهنة على الساحة العالمية اجتماعيا وسياسيا وأخلاقيا أي حاول أن يجعل كونية العقلية الهيكلية منحردة داخل الفضاء

⁽¹⁾ زواوي بغورة الاعتراف من أجل مفهوم العدل دراسة الفلسفة الاجتماعية دار الطليعة والطباعة والنشر والنشر ط1، ص253.

العمومي الذي يعي فيه بين الأفراد نوع من التواصل والمناقشة والحوار. لكون هونيث أشاد ما يسمى "بالمنعطف التواصلي هيرماسي" الذي استطاع من خلاله تقديم مقاربة جديدة لإعادة اكتشاف أهمية البعد الاجتماعي ومن ثم إعادة تأسيس نظرية النقدية يتضح أنّ الاعتراف الذي جاء به أنّه المتبادل الكفيل بوضع حد للصراعات الاجتماعية والثقافية القائمة على السيطرة والهيمنة والظلم من ثمة يستطيع الأفراد تحقيق هوايتهم ضمن علاقات تداوتية ذلك بثلاث نماذج منها " الحب التي يعتبرها هونيث من العلاقات الأولية التي تؤسس فاعلية الاعتراف الحق الشكل الثاني من الاعتراف المتبادل بين الذات والتضامن الثالث يسمح للأفراد تحقيق ذواتهم"⁽¹⁾ فهذه الأشكال الثلاث من الاعتراف في نظرة يوجد بينهما ترابط وتكامل تشترط على نحوها.

احترام الذات والحب عبارة عن علاقات متداخلة من العواطف والأحاديث توجد داخل الأسرة والأصدقاء إلى غير ذلك الحق هو شكل آخر من الاعتراف المتبادل بين الذات يسمح بالتطور الأخلاقي يحيل إلى الفهم الكوني، يحقق فيه تقدما على مستوى الحقوق المدنية والاجتماعية والتضامن على شكل الأخير من الاعتراف من أساس تقدير الذات.

بعد استعراض ما قام به إكسيل هونيث في بلورة نظرية النقدية من خلال مشروعه الصراع من أجل الاعتراف ولما نرى الانتقال من نقد العقلانية الأدواتية إلى الفعل التواصلي وصولاً إلى فلسفة الاعتراف ما هو مسابقة وتتبع دقيق لتمظهرات الإنسان للمجهول وإعادة

(1) كمال بومنيير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت لمدرسة فرانكفورت المرجع نفسه ص 107-108

بناء شبكة العلاقات الاجتماعية بحيث أضاف رؤية جديدة لنظرية النقدية من خلال مشروعه الهيكلي ليوسع بها مشروع هابرماس.

يورغان هابرماس: يعتبر هابرماس Habermas من أهم علماء الاجتماع والسياسية من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صائب نظرية العقل التواصلي هو فيلسوف ألماني (1929-1951) أهم مؤلفاته التحولات البنيوية للأوضاع الاجتماعية النظرية الممارسة منطق العلوم الاجتماعية. برغماتية التواصل.

المبحث الثاني: أهمّ الانتقادات التي وجهت لهابرماس

لقد تعرض هابرماس لجملة من الانتقادات لأفكاره وهنا نحاول أن نوضح أهمّ الأفكار التي تعرض لهذا الانتقاد.

لقد ميز هابرماس "بين العلم التجريبي والمعرفة التاريخية تعرض أيضا للنقد من قبل بعض النقاد لأنه لم يعمق التناقض المزمّن القائم داخل نسقية العلوم الاجتماعية بين التغيير والفهم وما ينتج عن تأويل دون أن ننسى ما تفرغ عن نظرية هابرماس في المعرفة وعلاقتها بالمصلحة، مثل نظرية الحق التي تدور حول فكرة الإجماع وما تحله من تعميم وإحالة إلى مرجعيات قد تحمل مزايم أكثر ممّا تحيل لصالحه، ممّا يعطل نظريا أي تركيز على التفرقة التي أقامها في البداية بين العلم والأعلم وبين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، وبين الفعل الخالص والعقل العلمي.⁽¹⁾ فقد أثبت "مشروع هابرماس" أنّه بقي في أفق النظرية النقدية، التي حاولت أن تحدث قطيعة مع الفلسفة التقليدية لقد ردّ "آيل" على النقد الذي قدمه "هابرماس" حول تأسيس نهائي للعقل، بحيث أشار أنّ الغرابة "هابرماس" حين استبعد مقتضى النهائي ذي الصلاحية.

وقبلي للإدعاء الفلسفي صلاحية الملفوظات الكونية المتعلقة بالافتراضات الضمنية الضرورية للنقاش حاجي. دعا هابرماس إلى استخلاص هذه الافتراضات عن

⁽¹⁾ الصلاحية هي ترجمة لمصطلح (Validite) عوض مصطلح الصلاحية فهو يحمل دلالة نظرية مجردة

⁽¹⁾ كارل أتو "آيل" التفكير ضد هابرماس (تر عمر هبيل دط الدار العربية للعلوم بيروت لبنان 2005) ص14

اللغة المتداولة ضمن الممارسة تواصلية والكشف عن الحدودات الأخلاقية الكامنة في العالم. يقول "أبل"

إنّ هابرماس ينتمي إلى أولئك الذين يرغبون عن قصد في التملص من البديل الذي اقترحه فهو جهته يؤد الحفاظ على الشمولية مزاعم الصلاحية⁽¹⁾ كذلك طابع اللامشروطية والمثالية التي ينتمي إلى الافتراض الأحدثي وإلى التوقع الفعلي لتوافق ممكن بين الكل المشتركين المحتملين والمشمولين بالمحاجة حول "مشروعية مزاعم الصلاحية"⁽²⁾ هنا نجد أنّ "هابرماس" حير نفسه البنى نبه ترتسندنتالية، لكن رفض التأسيس النهائي صالح بصورة قبلية.

نجد كذلك اعتراضات أخرى عديدة فهو أدخل نوع الخداع في مقومات معيارية قوية إلى نظرية العالم المعاش عن النشاط التواصلية وكذلك عند استخدام اللغة فهو يتوقف عن التفكير في الاختلاف الذي يجب إقامة بين المستوى الفلسفي والسوسيولوجي نجد كذلك أنّه ميز بين مقياس الأخلاقية كما هو موجود في أخلاق العالم المعاش.

تعرض "هابرماس" للنقد من طرف يوتار⁽³⁾، والسبب لأنه لم يفهم العالم الحديث فالنقاش الذي يبني على براغماتية المعرفة العلمية يهدف إلى إبطال الاعتقاد الذي لا يزال ينشط بحث "هابرماس" بمعنى الإنسانية كذات اجتماعية تبحث عن التحرر المشترك حسب

(1) نانسي فرايزر (1947) هي أستاذة الفلسفة السياسية في مدرسة البحوث الاجتماعية الجديدة في نيويورك. قامت بنشر العديد من الكتب عن النسوية وأهم مؤلفاتها: مآلات النسوية من الرأسمالية الدولة إلى النيو

(2) نفس المرجع ص27

(3) يوتار (1924-1998) فيلسوف وعالم الاجتماع فرنسي، اشتهر أنّه أول من أدخل مصطلح ما بعد الحداثة إلى فلسفة العلوم الاجتماعية، عبر عنها في أواخر القرن العشرين من أهمّ كتبه لماذا تفلسف ؟ تقييم الوضع ما بعد الحداثة وغيرها.

يوتار "فإنه أوضح أنّ الإجماع مجرد حالة للنقاش، وهذه ما هي إلا مغالطة ومن هنا اتهم "يوتار" "هابرماس" أنّه تجاوز الزمن لم يتوقف هذا النقد عند هؤلاء فقط نجد كذلك نانسي فرايزر في إحدى مقالاتها بعنوان "إعادة التفكير في الفضاء العمومي" فهي حاولت تأسيس نظرية النقدية جدية والتنظير لفضاء عمومي جديد يتجاوز الفضاء العمومي البرجوازي الذي تحدث فيه "هابرماس" في كتابه الفضاء العمومي "فلم يشك أحد في أهمية الفضاء العمومي للنظرية النقدية للمجتمع السياسية الاقتصادية لكن نانسي فرايزر "انتقدت" هابرماس" باعتبار أنّ الفضاء العمومي البرجوازي هو فضاء يغيب الفضاءات الأخرى وقد سعت إلى استبدال الفضاء العمومي بمفهوم الجماهير المتعددة. الذي يضم جماعات أكثر لأن التمايز والفروق الاجتماعية لا تسمح بوجود فضاء عمومي واحد.

من أهم الانتقادات ليوتار لهابرماس أنّ نظريته ما هي إلا فلسفة أخرى في التاريخ ونموذج سردي يحكي قصة تحرر البشرية ورفيقها في التقدم أخلاقي.

يقسم يوتار النظريات العامة للتاريخ إلى نوعين: نوع يحكي التاريخ تدريجي الإنسانية كلها ونوع آخر يحكي تاريخ كريادة في التفرد وتحرر الفرد من قيوده، والماركسية الأرثوذكسية هي النوع الأول، أمّا فلسفة مدرسة فرانكفورت فهي نوع الثاني إذ ارتكزت على تحرر وعي الفرد وتخليصه من اغترابه في المجتمع الرأسمالي. وحسب هذا التشخيص فإنّ نظرية هابرماس متهمة بكونها وراثة لكلّ نوعين من نظريات فهي تقيم توازن بين تطور الفرد الإدراكي والمعرفي وتطور المجتمع وترى أنّ التفرد الحقيقي لا ينتج إلا عن وعي جمعي

متطوراً أنّ الأشكال الأصلية والأكثر تقدماً من التفرد من الشعور الفرد باستقلاله وكيانه ومسؤولية قائمة على أساس الأشكال أصلية وأكثر تطوراً من التساند والاندماج الاجتماعي.

خاتمة

من خلال الدراسة التي تعرضنا إليها في هذه المذكرة وبعد الخوض في غمار الفكر الفلسفي الهابرماسي والإمام لمجمل أفكاره نخلص إلى جملة من الأفكار وسعيه إلى إخراج العقل نحو منحى آخر متجاوزا كلّ العوائق رغبة منه في تصحيح مسار الحداثة منتقدا التيارات ما بعد الحداثة في تحجيمها لدور العقل. فنظر للحداثة على أنه مشروع لم يكتمل بعد ما حاول فيه إصلاح الانكسارات التي حصلت فيه متجاوزا العقلانية الأداتية. من خلال إعادة بناء النقدية للحداثة أي إعادة الأمل في العقل وإشكاله وحل المصالح والغايات الأهداف ومن تسلط النزعة الوضعية ومخلفات الماركسية. لرفضه أفكار المدرسة النقدية المتمثلة في الجيل الأول بحيث خصص لهم مساحة شاسعة في أعماله حيث انطلق هابرماس من مصطلح الأكثر شيوعا في حياتنا اليومية وهو التواصل. فالعقل التواصل هو الذي طرحه هابرماس عقل يبني على فعل خلاف يقوم على اتفاق بعيدا عن الضغط هدفه الإجماع وهنا تظهر تبشير تفاؤل في ظل ما صنعتها الأدوات مستغلة كلّ إمكانيات العقل محاولا إعطاء حلولاً تتمثل في العقلانية التواصلية. لأنّ مشروع الهابرماسي بأسره مبني على فكرة التجديد والثقة في اللغة باعتبارها هي الفعل. وذلك بانتقال من المستوى الصوري إلى المستوى التّداوليّ فاللغة عند هابرماس تلعب دورا هاما بين الذات في إطار التّداوليّة.

إنّ هابرماس ينطلق من خلفيات فلسفية متعددة غير التي ذكرناها ويمنح الفكرة متباينة تباين الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية والفلسفة المثالية القارية، يجمع بين ميادين بحثية متميزة وهذا خير دليل على سعة اطلاعه على الفلسفات المتعددة والمختلفة في كثير من جوانبها إلا أنّه أحسن الاستغلال هذه الخلفيات نجحت إلى حد معين في تحقيق ثلاثة أهداف

1. تسهيل عملية التواصل بحيث أصبحت اللّغة أداة للتفاهم لمختلف المستويات الدنيا والعليا باستعمال المعنى التّداولي.

2. تبرير أهمية انعطافه في تحسين النموذج التّداولي في مجال السياسة هذا التحسين الذي لم يخضه أوستين ولا سيرل.

3. إبراز شأن القدرة التواصلية في تأسيس المجتمع مثالي للتداول وأدوات المثالية للخطاب يتم عبرها الانتقال السلمي للسلطة الديمقراطية.

كانت نظرية التواصل نظرية اجتماعية وقد أتم على مجموعة من شروط حددها هابرماس ورأى أنّها ضرورية في الفعل التواصل. وقد رتب على هذا إعطاء فعل التواصل على العقلانية وهي نسق اجتماعي ديمقراطي، يشمل جميع الميادين والهدف هو الوصول إلى التفاهم وليس الهيمنة وكذلك قيامه على نظام أخلاقي وفق نقاش حر فالتواصل ليس هدفا نهائيا بل هو إجراء تعاوني يساعد على توليد الحقيقة وإما يكون على استدلال أخلاقي. لقد تعددت آراء المفسرين. واختلف اختلافا كبيرا من مشروع هابرماس ومدى قدرته على الصمود على هذه الشكوك التي تثار حوله هناك نقاط اتفاق بين هؤلاء هو أنّ هابرماس حاول أن يجمع الاهتمامات الفلسفية (وهو أحد الفلاسفة الذي تمسك بترائه النقدي) وبين الالتزام الحقيقي فعال بتنمية أو تدعيم المناقشة المستتيرة للقضايا الملحة بالنسبة للرأي العام. ولعله أن تكون أحد الفلاسفة القليلين الذين يلتزمون بالتمسك بالتراث النقدي في البحث المبدئي عن الحقيقة وهذا كله يقدم مثالا رائدا للفكر المستتير.

رغم أنّ هابرماس بذل جهدا كبيرا أثناء قيامه بمشروعه الفلسفي لكن لم يخلُ من الانتقادات فقد وجهت له مثل "كارل آتوآبل" الذي يرى أنّ التواصل عند "هابرماس" مجرد لغة. كذلك إكسيل هونيث " الذي قدم نقدا لـ"هابرماس" هو أنّ النموذج التواصلية عجز عن تغيير التجربة التي يعيشها الفرد بصورة التواصلية عجز عن تغيير التجربة التي يعيشها الفرد بصورة كاملة فاللغة لا تعبر عن الكل فهي جانب من التفاعل الاجتماعي.

في الأخير يمكن القول أنّ العقلانية التواصلية التي أسسها "هابرماس" وقد وضع شروطا لقيامها لكن العقلانية التواصلية لا يمكن تحقيقها أو تجسيدها في المجتمعات لأن الإنسان يعي ويراعي مصالحه الخاصة فقط ولا ينظر إلى مصالح غيره.

إنّ هذا المنعرج في حقيقة الأمر لم يكن له تأثير فقط على مستوى السياسي في الإتحاد الأوروبي وإنما ألهم العديد من الفلاسفة والمفكرين في أطروحاتهم الفكرية ولعل أهمّ فيلسوف تأثر بالنموذج التّداوليّ التواصلية الهبرماسي هو إكسيل مونيّن الذي طور براديغم الاعتراف انطلاقا من أبحاث هابرماس التداولية وسيلة بن حبيب التي طورت نظرتها النقدية في التعددية الثقافية متأثرة إلى حد معين بأطروحات هابرماس

فهرس المصادر والمراجع

1. المصادر

يوغرن هابرماس أخلاق التواصل تر أبو نور حمدي التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت

لبنان 2012

يورغن هابرماس إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة تر فتقديم عمر مهيل دار العربية للعلوم الناشرون ومنشورات الاختلاف الجزائر دط دس.

يوغرن هابرماس العلم والتقنية كإيديولوجيا تر حسن صقر منشورات الجبل ألمانيا ط1 2002.

يوغرن هابرماس ما بعد ماركس تر محمد ميلاد دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا ط1 2002.

يوغرن هابرماس المعرفة والمصلحة تر حسن صقر منشورات الجمل ألمانيا ط1 2001.

مرتب ماركيور فلسفات النفي دراسة في النظرية النقدية تر مجاهد عبد المنعم مكتبة الكمة للنشر والتوزيع ط3 2012.

يوغرن هابرماس الفلسفة الألمانية ومسألة الحقيقة تر (فتقديم) نظير جاهل الناشر المركزي الثقافي العربي بيروت ط1 1995.

يوغرن هابرماس مقدمة قصيرة تر أحمد الدوبي مرضياء مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط12 2015

2. المراجع باللغة العربية

- جاك فيري فلسفة تواصل تر عمر مهيل الدار العلوم بيروت ط1 2005.
- محطن الرولي وسعد الباز في دليل الناقد الأدبي ط2 دار البيضاء 2000 ص102.
- جامد خليل المنطق البرغماتي دليل النقد الأدبي المركزي الثقافي مصر 1996 ص196.
- أبو النور الحمدي الحسن يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان 2012.
- زواوي بغورة فلسفة اللغة نقد منعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ط1 (دار الطباعة والنشر بيروت 2005).
- جيمس فينيوس يورغن هابرماس مقدمة قصيرة جدا تر أحمد الدربي مر ضياء مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط12 2015.
- عطيات سعود الحصاد الفلسفي للقرن العشرين مكتبة الإسكندرية منشأة المعارف جلال عزي وشركائه مصر
- عمر مهيل إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ط1 الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف المركزي الثقافي الغربي د.ب 2005.
- كارل أوتو التفكير مع هابرماس ضد هابرماس تر عمر مهيل د.ط (الدار العربية للعلوم بيروت، لبنان، 2005)
- محمد نور الدين آفاية الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ط2 (بيروت. دس)
- إشكالية التواصل في الفلسفة التربوية المعاصرة دار العلوم بيروت ط1 2005

حسن مصدق يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية مركز الثقافي العربي دار البيضاء 2015.

زواوي بغورة الاعتراف من أجل مفهوم العدل دراسة الفلسفة الاجتماعية دار الطليعة والطباعة والنشر والنشر ط1.

3.مراجع اللّغة الفرنسية

Towards a Ratiotal Society (including) Technology and science as ideology. Boston: Beacon press 1971

Knowledge and Human Inerests. Boston: Beacon press 1972

4.المجلات

إيان كريب النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس تر محمد حسين علوم (عالم المعرفة، الكويت، دت)

مجلة الفكر العربي المعاصر 1991

علاق طاهر نظرية هابرماس النقدية مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي العدد 44 بيروت لبنان ص58

5.المعاجم والموسوعات

منظور لسان العرب دار المعرفة القاهرة مصر ط1

أندري لالاند موسوعة لالاند الفلسفية تر خليل أحمد منشورات عويدات بيروت لبنان ط2، 2001

جميل صيليبيا المعجم الفلسفي ج1 دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان 1982

أبو الفضل جمال الدين منظور لسان العرب المحيط إعداد وتصنيف يوسف خياط مجلد 2

بيروت

لجنة العلماء الأكاديميين الموسوعة الفلسفية تر سميع كرم.

الفهرس

كلمة شكر وعرفان

إهداء

5.....	المقدمة
1.....	الفصل الأول: التداولية في مشروع هابرماس
2.....	المبحث الأول: نشأة التداولية وتطورها
15.....	I. التداولية في العرف اللغوي والاصطلاحي:
21.....	المبحث الثاني: مبادئ التداولية التواصلية:
23.....	المبحث الثالث: أسس التداولية التواصلية.
24.....	II. مساهمة هابرماس في تطوير التداولية التواصلية:
	Erreur ! Signet non défini.
41.....	المبحث الأول: الفعل التواصلية
41.....	I. معنى التواصل عند هابرماس:
47.....	II. العقل التواصلية:
52.....	III. شروط تحقيق التجربة التواصلية:
56.....	المبحث الثاني: فاعلية اللغة عند هابرماس
57.....	I. اللغة وسيلة للتواصل:
64.....	II. موقف هابرماس من اللغة:
75.....	III. الكليات البراجماتيقية:
78.....	المبحث الثالث: العقل الأداتي والعقل التواصلية
83.....	الفصل الثالث: يورغن هابرماس على محك النقد
84.....	المبحث الأول: امتداد الفكر الهبرماسي
91.....	المبحث الثاني: أهم الانتقادات التي وجهت لهابرماس
95.....	خاتمة
99.....	فهرس المصادر والمراجع
99.....	1. المصادر
100.....	2. المراجع باللغة العربية
101.....	3. مراجع اللغة الفرنسية
101.....	4. المجالات
101.....	5. المعاجم والموسوعات